



جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

الحوار الثقافي بين الشرق والغرب

إعداد

الإدارة المركزية للسيرة والسنة
بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة

إشراف وتقديم

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

(الحجرات: ١٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسوله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن ديننا الحنيف قائم على الإيمان بالتنوع والاختلاف ، فهو آية من آيات الله وسننه الكونية ، حيث يقول سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الروم : ٢٢) ، ويقول سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (الحجرات : ١٣) ، ويقول سبحانه : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ^ط وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ^{١١٨} إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ ^ع وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (هود : ١١٨-١١٩) ، فالتنوع قوة وثراء لو أحسنا التعامل معه والإفادة منه ، وبديل الحوار هو الصدام ، وبديل الإيمان بالتنوع والاختلاف هو الاقتتال والاحتراب .
وبالواقع المعاین المشاهد ندرك أن أكثر الأمم إيماناً بحق التنوع والاختلاف وقبول الآخر والمختلف وترسيخ أسس التعايش السلمي ؛ هي

أكثر الأمم أمنًا واستقرارًا وتقدمًا ورخاءً وازدهارًا ، وأن الأمم التي وقعت في أتون الاحتراب والاختتال الطائفي أو المذهبي أو العرقي أو القبلي دخلت في دوائر فوضى ودمار عصفت بكيانها وأصل وجودها ، وعلى أقل تقدير مزقت أوصالها وهزت كيانها ، ولو أن البشرية قد أنفقت على التنمية معشار ما تنفقه على الحروب لتغير حال البشرية وعمها الأمن والاستقرار .

وينبغي أن يقوم الحوار على أسس ومرتكزات قوية ، نذكر منها :

١ - السعي الدائم نحو التعارف ، والانفتاح على الثقافات الأخرى ، وليس الانغلاق المحكم الذي يؤدي بنا إلى الخوف من الآخر المجهول ، فتعميق الوعي بالآخر وثقافته ومجريات حياته يجعله بالنسبة لنا أقل غرابة ، ويجعل الحوار معه أكثر يسرًا وأسهل مأتىً وتناولًا ، وإذا كان الحكم على الشيء فرعًا عن تصوره كما يقول المنطقة فلا بد أن نتعرف على ما لدى الآخر من قيم ومثل وثقافات ، وأن نحلل ذلك تحليلًا جيدًا محايدًا ومنصفًا قبل الحكم له أو عليه ، وألا تكون لدينا أحكام وقوالب جاهزة مسبقة في الحكم على الآخرين .

وهو ما تنبه إليه كثير من علمائنا الأجلاء ، فكتب الشيخ / محمد عرفة - رحمه الله - في مجلة الأزهر عام ١٩٤٦ م : يجب أن يفهم الغرب الإسلام ، وأن يفهم الإسلام مدينة الغرب ، فإنهما إذا تفاهما زال ما بينهما من سوء

ظن، وأمكن أن يعيشا معاً متعاونين ، يؤدي كل منهما نصيبه من خدمة الإنسانية ، كما ينبغي على العلماء المسلمين أن يبينوا مدينة الغرب على حقيقتها ليحل التعارف محل التناكر ، ويحل السلام محل الخصام .

٢- تحكيم لغة العقل ورغبة جميع الأطراف في نبذ العنف والكرهية والتطرف والإرهاب ، إيماناً بأن قضية الصراع ليس فيها رابح مطلق أو خاسر مطلق ، وأن عواقب الصراع والعنف والتطرف وخيمة على الإنسانية جمعاء ، وأنه لا بديل للإنسانية عن البحث في القواسم والمصالح المشتركة ونقاط الالتقاء ؛ لما فيه خير البشرية بعيداً عن الحروب والصراعات والقتل والاقْتتال والتخريب والتدمير .

٣- أن تكون لدى جميع الأطراف الرغبة الحقيقية في إعلاء القيم المشتركة وتجنب جميع مظاهر الأنانية والاستعلاء ، يقول ابن رشد محدداً منهجه في الأخذ من ثقافة اليونان وغيرهم : يجب علينا أن ننظر في الذي قالوه وما أثبتوه في كتبهم ، فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم ، وسررنا به ، وشكرناهم عليه ، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذّرنا منه، وعذرناهم .

٤- التركيز على الإفادة من النافع والمفيد ، وغض الطرف عن خصوصيات الآخر الثقافية التي لا تتفق مع قيمنا وحضارتنا ، في ضوء

الاحترام المتبادل بين الأمم والشعوب ، من غير أن يحاول الغرب أن يفرض قيمه وأنماط حياته الخاصة على الشرق ، ولا أن يحاول الشرق حمل الغرب حملاً على مفردات حضارته وثقافته وقيمه وتراثه ، بل على الجميع أن يُعطي من شأن القيم المشتركة، وما أجمعت عليه الشرائع السماوية والقيم الإنسانية، فيبحث الجميع عن المتفق عليه ، ويعذر بعضهم بعضاً في المختلف فيه .

٥- التأكيد على أن الأخلاق والقيم الإنسانية التي تكون أساساً للتعاشيش بين البشر لم تختلف في أي شريعة من الشرائع، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت " .

فأروني أي شريعة من الشرائع أباحت قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، أو أباحت عقوق الوالدين ، أو أكل السحت، أو أكل مال اليتيم ، أو أكل حق العامل أو الأجير .

وأروني أي شريعة أباحت الكذب ، أو الغدر، أو الخيانة، أو خُلف العهد، أو مقابلة الحسنة بالسيئة ، بل على العكس فإن جميع الشرائع السماوية قد اتفقت وأجمعت على هذه القيم الإنسانية السامية ، من خرج عليها فإنه لم يخرج على مقتضى الأديان فحسب ، وإنما يخرج على مقتضى الإنسانية وينسلخ من آدميته ومن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

وقد علمنا ديننا الحنيف أن نقول الكلمة الطيبة للناس جميعاً بلا
تفرقة، فقال سبحانه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة : ٨٣) ، بل نحن
مطالبون أن نقول التي هي أحسن ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي
يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (الإسراء : ٥٣) ، ويقول سبحانه : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي
الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ
عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا
ذُو حِزْبٍ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت : ٣٤) ، وفي تعاليم سيدنا عيسى (عليه
السلام) " من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر " .

إنها لدعوة عظيمة للتسامح في كل الشرائع السماوية لكي تعيش
البشرية في سلام وصفاء ، لا نزاع ولا شقاق ، ولا عنف ولا إرهاب ، وهو
ما نسعى إليه من خلال اعتمادنا المنهج الحضاري بين الشرق والغرب ، على
النحو الذي يحقق سعادة البشرية وسلامها دون تمييز .
والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك □
وزير الأوقاف □
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

تحرير المصطلحات

أولاً: الحوار لغة واصطلاحاً :

الحوار لغة :

يَتَحَاوَرُونَ ، أي: يَتَرَاوَعُونَ الْكَلَامَ ، وَالْمُحَاوَرَةُ : مُرَاجَعَةُ الْمُنْطِقِ وَالْكَلامِ فِي الْمَخَاطَبَةِ^(١).

وقيل: حاوره محاوره وحواراً جاوبه وجادله ، وفي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾. وتجاوزوا تراجعوا الكلام بينهم وتجادلوا،

وفي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾. والحوار حَدِيثٌ يُجْرَى بَيْنَ

شَخْصَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ فِي الْعَمَلِ الْقِصْصِيِّ أَوْ بَيْنَ مَثَلَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ عَلَى الْمَسْرَحِ^(٢).

فالمحاورة والحوار لغة: المُوَارَدَةُ فِي الْكَلَامِ^(٣)، والمراجعة في

المخاطبة^(٤)، تقول: كلمته فما أَحَارَ إِلَيَّ جَوَابًا أَي: ما رَدَّ جَوَابًا ، بغض النظر

(١) ابن منظور: لسان العرب ، ط دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ، مادة (حور).

(٢) إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار: المعجم الوسيط، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية- القاهرة، مادة (حور).

(٣) انظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م، رقم ٣٢، ص ١٤٩.

(٤) انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، رقم ٢٣، ١١/١٠٨.

عن الرد بما يوافق أو يعارض^(١).

الحوار اصطلاحًا:

يعرف الحوار لدى البعض بأنه : أسلوب يجري بين طرفين ، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به ، ويراجع الطرف الآخر في منطقته وفكره قاصدًا بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره^(٢).

ويُعرّف أيضًا بأنه شكل من أشكال « التفاعل بين القوى الاجتماعية ، ووسيلة للتواصل لتجنب الصراعات وتلطيف المجاهبات».

كما يُعرّف الحوار الثقافي بأنه : حوار مبدئي يُعيد العلاقات البشرية إلى إنسانيتها، ويُعيد الحضارات إلى أهدافها ، ويكون مؤشرًا ودليلاً لأي حوار سياسي واقتصادي^(٣).

ويُعد مفهوم الحوار اصطلاحًا - إضافة إلى كونه مفهومًا سياسيًا

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢١٨/٤.

(٢) عبد الستار إبراهيم الهيتي، الحوار الذات والآخر، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المحرم ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، السنة الرابعة والعشرون، العدد: ٩٩، ص ٤٠، وانظر: أسس الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي، للدكتور / محمد أحمد حسن القضاة، مقال منشور على شبكة الإنترنت، موقع الحوار اليوم.

(٣) د/ عادل ياسر، ود/ فاتن محمد رزاق، معوقات الحوار الثقافي والحضارى وآلياته، الجامعة المستنصرية كلية العلوم السياسية، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة- العراق، المجلد: ٩، عدد: ٢٨، تشرين أول ٢٠١٤م، ص ٤٦٤.

ثقافياً حضارياً- من المفاهيم حديثة العهد بالتداول في الفكر السياسي والثقافي المعاصر ؛ إذ «إن جميع المواثيق والعهود الدولية التي صدرت بعد إنشاء منظمة الأمم المتحدة تحلو من لفظ الحوار ، بينما تعتمد معاني إنسانية أخرى مثل : التسامح ، والتعاون ، والتعايش ، وإنهاء العلاقات الودية بين الأمم ، وتحقيق التعاون الدولي»^(١) .

ولقد اقترن ظهور مصطلح الحوار بدلالاته الجديدة بتزايد حدة الحرب الباردة وما صاحبها من تصعيد للصراع الأيديولوجي^(٢) والسياسي بين مركزي الاستقطاب السياسي ، فكان مصطلح الحوار الذي طرحه الغرب في مقابل مصطلح التعايش لدى المعسكر الشيوعي^(٣) .

وبذلك يمكن القول: إن «الحوار قد يكون على نوعين: الأول: يسعى

(١) د/ أحمد عارف أرحيل الكفارنة: معوقات الحوار بين الشرق والغرب، دفا تر السياسة والقانون، الجزائر، العدد الثالث عشر جوان ٢٠١٥م، ص ٢٨٩. وانظر: المرجع السابق، ص ٤٦٤ .

(٢) نسبة لكلمة أيديولوجيا، وهي بدورها دخيلة على اللغة العربية من الكلمة الإنجليزية: Ideology وهي تطلق بمعان، منها : علم دراسة الأفكار والمعاني وخصائصها وقوانينها، والبحث عن أصولها بوجه خاص، وأيضًا على جملة الآراء والمعتقدات الشائعة في مجتمع ما. (انظر: موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب / خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات بيروت - باريس ، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م ، ص ٦١١ ، ومجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، ص ٢٩ مادة: أيديولوجيا).

(٣) انظر: د/ أحمد عارف الكفارنة: معوقات الحوار بين الشرق والغرب، ص ٢٨٩ .

إلى اختراق الآخر وإعادة تشكيله ليغدو على شاكلة الذات ، والثاني: حوار يسعى إلى الاستكشاف بغية التعايش بين الحضارات والثقافات»^(١). فهذا الأول مجرد حوار في الصورة فقط لا في الحقيقة ، ذلك «أن الحوار بدهاة يفترض الاعتراف والقبول المتبادل ، أي الاعتراف بالآخر كما هو وكما يقدم نفسه ، وقبوله شريكاً متكافئاً»^(٢).

ألفاظ ذات صلة بالحوار:

ويمكن رصد الألفاظ المقاربة لمفهوم الحوار في الدلالة ، مثل (المناقشة - الجدل - المفاوضة - المحادثة .. إلخ) ، وذلك في محاولة لفك التشابك فيما بين كل منهم دلاليًا .

فالحوار يخالف المناقشة في أن المتناقشين يحمل كل فرد منهم مواقف ثابتة ، ويتناقشون من أجل : إثبات وجهات نظرهم الخاصة ، وإقناع الآخرين بالتغيير .

وأما الجدل فيختلف عن الحوار - وهو من أكثر المفاهيم تداخلاً معه - في أن الجدل شكل من أشكال التعبير عن المعارضة بين أطراف يحاول كل منهم إثبات خطأ الآخر؛ حيث يحاول كل طرف من أطراف الجدل: تَرَصُّد وتَصَيُّد أخطاء منافسه وأن يُثبت خطأ خصمه والفوز بالمناظرة ، وليس

(١) د/ عادل ياسر، ود/ فاتن محمد رزاق: معوقات الحوار الثقافي والحضاري وآلياته ، ص ٤٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦١ .

البحث عن أرضية مشتركة ، في حين أن هذه الأرضية المشتركة هي الهدف الأساسي في الحوار الذي يتوجب على المتحاورين إيجاده والانطلاق منه، من خلال سعي كل طرف للاستماع إلى الطرف الآخر للوصول إلى فهم واتفاق مشترك ، لما في الحوار من مساحة تسمح بتغيير وجهة نظر أحد الطرفين. ولكن هذه الإمكانية لا تجعل من الحوار نوعاً من أنواع المفاوضة؛ لأنه يختلف عن التفاوض والمفاوضة في أن الأطراف المشتركة في عملية التفاوض يريد كل منهم أن يحقق مصالحه الخاصة بكل الوسائل المتاحة، وينتهي التفاوض بنوع من توفيق الأوضاع وتسوية الخلافات حول المصالح المتفاوض بشأنها بشكل يقبله كل الأطراف^(١).

ويسمى البعض المحادثة التي تأخذ شكل الحوار- ولكنها معيبة لتفريغها من المضمون الحقيقي للحوار- بالحوار الزائف ، إذا نُظر إلى مراعاة الصورة الشكلية «أكثر من المضمون أو الجوهر ؛ وهو قبول أقوال الآخرين دون مناقشتهم وإظهار القبول والموافقة»^(٢)، أو بالحوار المستعصي ، إذا نُظر إلى أنها لا تحقق النتيجة المرجوة منها ، إذ إنها لا تنتج إلا ردود أفعال غير مقبولة

(١) انظر: أ.د/ منى أبو الفضل، د/ أميمة عبود، أ.د/ سليمان الخطيب: الحوار مع الغرب.. آلياته .. أهدافه.. دوافعه ، سلسلة التأصيل النظري للدراسات الحضارية ، دار الفكر، دمشق ، ٢٠٠٨م، ص ٨٠-٨٢ بتصرف.

(٢) انظر: الحوار مع الغرب.. آلياته .. أهدافه.. دوافعه ، ص ٧٨.

ومشيرة للحنق.

فالحوار بمعناه الحقيقي هو في النهاية وسيلة لفهم العالم المعاصر وشواهده ومظاهره المتناقضة ، ويصبح الحوار هو الآلية أو المبدأ الأساسي الذي يدفع بالتفكير إلى أبعد الحدود ويجعله أكثر انفتاحًا ، ومن ثم يتحد التفكير والحوار معًا في الجدال والمناظرة والمناقشات التي يقوم عليها أي حوار^(١).

ومعنى ذلك أن الموقف الحوارى - من حيث الاصطلاح النظرى - فى الحقيقة هو تجربة مركبة تهدف إلى إيجاد حل أمثل لسوء الفهم ، وأن يكون بعيدًا عن أساليب الخداع والتضليل ، ويهدف أيضًا إلى السماح للأفراد بالتفاهم والتوافق المشترك على أساس مجموعة من المعايير المتعلقة بالبحث عن الحقيقة والعدالة ؛ وذلك لأن هذه المعايير ليست كلها قابلة للنقاش والتفاوض ، وذلك لأن منها ما يُعد من قبيل المسلمات لدى أحد طرفى الحوار دون الآخر ، ولذلك يعد أخيرًا من أهدافه التعرف على ما هو

(١) المرجع السابق، ص ٧٢، وانظر أيضًا : ص ٨٠ - ٨١ ، حيث يرى البعض فى الحوار أنه طريق لاكتشاف جذور كل الأزمات التى تعوق «إجراء اتصال حقيقى بين الأفراد والأمم ... ومن هنا يصبح الحوار أحد أشكال التعلم الجماعى للاختلافات الثقافية فى عملية التفكير الإنسانى التى تحكم بدورها الأفكار والقيم والمعتقدات ، من أجل نوعٍ من التواصل الحقيقى بعيدًا عن العنف والنزاع والانقسام» .

قابل للرفض بشكل عام وما هو قابل للنقاش والتفاوض ، ومن ثم الحوار حوله^(١).

مفهوم الحوار الثقافي:

يقصد بالحوار الثقافي تناول كل طرف من أطراف الحوار لنمط حياة الآخر في أبعاده المختلفة ؛ من أجل إدراكه ، ونقده ، والانتفاع به ، وتشمل هذه العملية الحوارية تصحيح الصور الخاطئة ، والإدراكات السيئة التي يحملها كل طرف عن الآخر ، والتي تسكن زوايا مختلفة من الثقافة.

ويقصد به كذلك مخاطبة مرجعية ثقافية وحضارية في الغرب أو في الشرق ، وهو بهذا المعنى ليس جديدًا ، فقد مارسه العرب والمسلمون ما يزيد على قرن من الزمان ، ومنذ بداية العصر الحديث - بطريقة مباشرة وغير مباشرة - عبر وسائل الإعلام والإطارات الثقافية المختلفة ، ورغم اختلال بعض شروطه في بعض الأحيان ؛ بحيث ينعدم التجاوب أو بعبارة أخرى عدم تبادل الرسائل ؛ كأن نجد نصًّا عربيًّا يناقش مقالة أو نظرية غربية دون أدنى تجاوب من صاحب المقالة أو النظرية^(٢)؛ والسبب في ذلك يرجع إلى نظرة التعالي التي ينظر بها الغرب أحيانًا إلى الشرق العربي ؛ حيث

(١) الحوار مع الغرب.. آلياته .. أهدافه.. دوافعه ، ص ٧٤-٧٥.

(٢) د/إمحمد جبرون: تجربة الحوار الثقافي مع الغرب.. قراءة تقويمية ونموذج مقترح، مركز نداء للبحوث والدراسات، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص ١٥-١٧.

إن بعض الغربيين يعتبرون الشرق العربي دولاً نامية غير جديرة بالحوار ولا بالتبادل الثقافي ، وكذلك نظرية المؤامرة التي رسخت في أذهان بعض أهل الشرق العربي ؛ نتيجة لما مروا به من فترات احتلال من قبل الغرب ؛ فينظر البعض إليهم متوجساً أنهم العدو الذي يتربص لهم دائماً ؛ مما جعل هناك تخوفاً لدى الطرفين من مدّ جسور الثقافة بينهما.

ونظراً إلى أن مواجهة التيارات العنصرية هو هدف نبيل تتضافر من أجله جهود المجتمع الدولي لتحقيقه ، فإن من شأن تعزيز قيم الحوار بين الثقافات ، من خلال التقارب بينها وتعميق التحالف بين الحضارات ، أن يبني جسور التفاهم بين الأمم والشعوب ، وأن ينشر ثقافة التسامح والتعايش والوئام ، سعياً إلى بناء السلام العالمي على قاعدة القانون الدولي والقيم الإنسانية الخالدة ، التي هي القاسم المشترك بين الأديان والثقافات والحضارات جميعاً^(١).



(١) د/ عبد العزيز التويجري: حوار الثقافات والحضارات لمواجهة العنصرية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، ص ٨.

ثانياً: الثقافة لغة واصطلاحاً:

الثقافة لغة:

ثَقِفَ الشيءَ ثَقْفًا وثَقَافًا وثُقُوفَةً : حَدَقَهُ ، وَرَجُلٌ ثَقْفٌ ، وَثَقِفٌ وَثُقُفٌ : حَادِقٌ فَهِمٌ ، وَأَتْبَعُوهُ فَقَالُوا: ثَقِفْ لَقْفٌ ، وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : رَجُلٌ ثَقِفٌ لَقْفٌ رَامٍ رَاوٍ ، وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ : رَجُلٌ ثَقِفٌ لَقْفٌ ، وَثَقِفٌ لَقْفٌ ، وَثَقِيفٌ لَقِيفٌ ، بَيْنُ الثَّقَافَةِ وَاللَّقَافَةِ ، وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : رَجُلٌ ثَقِفٌ لَقْفٌ إِذَا كَانَ ضَابِطًا لِمَا يَحْوِيهِ قَاتِمًا بِهِ ، وَيُقَالُ : ثَقِفَ الشيءَ وَهُوَ سُرْعَةُ التَّعَلُّمِ (١) ، وَقِيلَ : الثَّقَافَةُ هِيَ الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ وَالْفُنُونُ الَّتِي يَطْلُبُ الْحَذَقَ فِيهَا (٢) .

الثقافة اصطلاحاً:

مصطلح يقابل مصطلح (Culture) في اللغات الأوروبية ، وهو ما يعنى تقريباً : مجموعة من العادات والقيم والتقاليد التي تعيش وفقها جماعة أو مجتمع بشري ، بغض النظر عن مدى تطور العلوم لديه ، أو مستوى حضارته وعمرانه .

وقيل : إن هناك اتجاهين في ترجمة كلمة (Culture) إلى اللغة العربية ، فالإتجاه الأول : يعرفها بأنها : المعارف والعلوم والآداب والفنون التي يتعلمها الناس ويشتقون بها ، وقد تحتويها الكتب ، ومع ذلك هي خاصة بالذهن ، أما الإتجاه الثاني : فيعرف

(١) لسان العرب ، مادة (ثقف) .

(٢) المعجم الوسيط ، مادة (ثقف) .

الحضارة مقابلة لترجمة (Culture)^(١).

بينما يقدم مالك بن نبي في كتابه (مشكلة الثقافة) تعريفاً للثقافة ، يصفه بالعلمي ، فيقول : هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته ، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه^(٢).

ومن التعاريف الجامعة لكل المعاني السابقة ما ورد عن «تايلور» المفكر المشهور ، حيث عرف الثقافة بأنها : ذلك الكل المركب الذي يشمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات ، أو أي قدرات أخرى ، أو عادات يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع^(٣).

ومن ذلك يتضح أن مفهوم الثقافة الجامع بين اللغة والاصطلاح : هو مفهوم شمولي يشمل ما يتعلق بالفرد والمجتمع من مهارات وخصائص يتميز بها الإنسان والمجتمع عن غيره ، وهو ما يؤكد على ضرورة التواصل بين الأفراد والمجتمعات مساهمة في التنمية ، خاصة بمصطلحها الجديد اليوم وهو (التنمية المستدامة).

(١) نصر محمد عارف ، الحضارة الثقافة المدنية دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان ، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ، ص ٢٧ ، ٢٩.

(٢) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة، ترجمة / عبد الصبور شاهين ، دار الفكر، دمشق - سوريا ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٤م، ص ٤٨.

(٣) محمد السويدي: مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص ٥٠.

ثالثاً: الشرق لغة واصطلاحاً :

الشرق لغة:

الشَّرْقُ بِسُكُونِ الرَّاءِ : المَكَانُ الَّذِي تَشْرُقُ فِيهِ الشَّمْسُ ... والشَّرْقُ: المَشْرِقُ، وَالجُمُعُ أَشْرَاقٌ .. وَشَرَّقُوا: ذَهَبُوا إِلَى الشَّرْقِ أَوْ اتَّوَا الشَّرْقَ، وَكُلُّ مَا طَلَعَ مِنَ المَشْرِقِ فَقَدْ شَرَّقَ.

الشرق اصطلاحاً :

لا شك أن المعنى الاصطلاحي يختلف عن المعنى اللغوي ، وهذا ما أشار إليه كثير من المؤلفين والمفكرين ، فقد قيل: « قُصِدَ بالشرق الثقافة النابعة من العرب والمسلمين ، وقُصِدَ بالغرب الثقافة النابعة من الغربيين .. من دون النظر إلى الجهة أو الجغرافيا»^(١).

ويذكر أحدهم رأياً قريباً مما سبق حيث يقول: « ومن المفاهيم التي عبر عنها الشرق الدلالة على المنطقة العربية الإسلامية باعتبارها مُركباً حضارياً ثقافياً يمثل قسماً تعرب شيئاً فشيئاً ، انطلاقاً من نواة تاريخية معروفة ، وبرز إلى الوجود العالمي منذ القرن السابع الميلادي ، وقذف بإشعاعه الحضاري في جزء مهم من آسيا وأفريقيا ، وسائر بقاع العالم ، وبدأ يعي نفسه وعياً قومياً حاسماً انطلاقاً من أخريات القرن التاسع عشر»^(٢).

(١) علي إبراهيم النملة ، الشرق والغرب .. منطلقات العلاقات ومحدداتها ، الطبعة الثالثة، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠م، ص ٨.

(٢) عامر جميل الصرايرة : جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة من عام ٢٠٠١ - ٢٠١١م، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، ٢٠١٣م، ص ١١ - ١٢.

رابعاً: الغرب لغة واصطلاحاً:

الغرب لغة:

الغَرْبُ خلاف الشرق ، وَهُوَ الْمَغْرِبُ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ ، أحد المغربين: أقصى مَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ الشَّمْسُ فِي الصَّيْفِ ، وَالْآخَرُ: أَقْصَى مَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ فِي الشِّتَاءِ ، وَأَحَدُ الْمَشْرِقَيْنِ: أَقْصَى مَا تَشْرُقُ مِنْهُ الشَّمْسُ فِي الصَّيْفِ ، وَأَقْصَى مَا تَشْرُقُ مِنْهُ فِي الشِّتَاءِ ، وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَالْمَغْرِبِ الْأَدْنَى مِائَةٌ وَتِسْأُونَ مَغْرَبًا ، وَكَذَلِكَ بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ ، وَقَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ فَلَا أَسْمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ ، جَمْعٌ ، لِأَنَّهُ أُرِيدَ أَنَّهَا تَشْرُقُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَوْضِعٍ ، وَتَغْرُبُ فِي مَوْضِعٍ ، إِلَى انْتِهَاءِ السَّنَةِ^(١).

الغرب اصطلاحاً:

هو «تركيب حضاري ثقافي تطور بفعل عوامل خارجية وداخلية من المجموعة الدينية المسيحية كقوة تضامن إلى مجموعة حضارية ابتداءً من القرن السادس عشر ، وكانت نواته أوروبا الغربية ، وشهد نهضة ثقافية ، فاصطلاحاً دينياً ، فحركة تنويرية ، فثورة صناعية»^(٢).

وذكر أحد الباحثين أن «الغرب الثقافة النابعة من الغربيين بمعتقداتهم الغالبة في الغرب من حيث تطبيقها على أرض الواقع الغربي ،

(١) لسان العرب ، مادة (شرق وغرب).

(٢) مبروك المناعي: الأنا والآخر ومقتضيات العبارة .. الشرق والغرب في مؤلفات الشابي ، مجلة

الآداب ، العدد: ١٢ ، ١٩٩٣ م ، ص ٨٢ - ٨٣ .

من دون النظر إلى الجهة أو الجغرافيا»^(١).

ما سبق هو ملخص أو نموذج لما يدور في فكر كل كاتب أو مؤلف أو مفكر أو باحث ، حيث لا يقف الجميع عند الحدود المكانية أو الجغرافية للشرق والغرب ، بل يتفكر في الخلفية وراء الحدود المكانية ، خاصة بعد الانفتاح على العالم ، والتواصل بين أبناء الجهات المختلفة ، إما بالسفر والتنقل ، أو عن طريق وسائل الاتصال والتواصل المتنوعة ، خاصة بعد ما أطلق عليه زمن السماوات المفتوحة .

ومن خلال ما سبق نجد من يركز على المكان باعتباره نقطة انطلاق ، وهناك من يركز على الفرد الذي يسكن المكان أو كان يسكنه ، وهناك من يركز على الدين ، وإن كان التركيز على الدين رفضه الكثير من المفكرين والكتاب ، حيث قال الدكتور/ علي المرهج في مقال له يصف فيه ما هو الغرب: «وإن كانت الديانة اليوم لا تشكل جوهرًا أساسيًا في حياة هذه الشعوب ، لا سيما بعد حركات التنوير في القرن السابع عشر والثامن عشر والثورة الصناعية في القرن التاسع عشر»^(٢).

(١) علي إبراهيم النملة ، الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها، ص ٨.

(٢) علي المرهج: العلاقة بين الشرق والغرب .. حوار أم صراع ، صحيفة المثقف، العدد: ٤١٥٩ ،

٢٠١٨ م .

أهمية الحوار:

لا شك أن المتأمل في حياة البشر جميعاً منذ سيدنا آدم (عليه السلام) وحتى الآن يدرك ما للحوار من أهمية عظيمة ؛ حيث إنه يسهم في التواصل الجيد بين الأفراد والمجتمعات ، ونقل الخبرات ، واقتراب وجهات النظر من نقطة الالتقاء بين المختلفين ، « بل هو السبيل الأسمى لضبط الاختلاف المذموم (اختلاف التضاد) ، وتفعيل قيم التعاون والتآلف والتكاتف، والحوار ضرورة لاكتساب العلم وتلقى المعرفة ، ويعمل على إبراز الجوامع المشتركة بين المتحاورين في العقيدة والأخلاق والثقافة ، وتعميق المصالح المشتركة بين المتحاورين»^(١).

ويسهم كذلك في احترام المختلفين لبعضهم البعض ، «وتتمثل أهمية الحوار في أنه يؤدي إلى «تداخل آفاق» المشاركين فيه ؛ مما يدفعهم إلى الاقتراب من بعضهم بدرجة أكثر من الموقف الذي يوجب الرؤية من زاوية واحدة ، وعلى هذا النحو يمكن أن نصل من خلال الحوار إلى أفق شامل ، ومن ثم يدفع الحوار ما هو موقفي وخاص ليتحرك باتجاه ما هو عام،

(١) عبد الله على العليان: حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين.. رؤية إسلامية للحوار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ١٩٣ - ٢٢٣، والهييتي، الحوار .. الذات والآخر، ص ٤١ ، ومحمد السماك: ثقافة الحوار في الإسلام .. حرية الاختيار وحق الاختلاف، مقال بجريدة النهار، لبنان، بتاريخ ٨ / ١ / ٢٠٠٢م، ص ١.

ونتيجة لذلك يؤدي الحوار إلى تحقيق التضامن بين رفاق الحوار»^(١).

أسس الحوار:

اختلفت آراء المفكرين والكتّاب حول أسس وأصول الحوار خاصة لو كان الحوار بين فريقين كل منهما له ثقافته وهويته ، فمنهم من يرى أن أسس الحوار تقوم على ما يتعلق بأطراف الحوار ، الموضوع ، والأسلوب ، وطرفي الحوار ، ومنهم من يؤسسه على الصفات العلمية والخلقية والنفسية التي ينبغي أن يتحلى بها المتحاورون ، ومنهم من يجعل القضايا المتحاوَر عليها هي الأساس الذي يبنى عليه الحوار ، والأصوب أن يؤخذ كل ذلك في الحسبان ، فأصول الحوار على الإجمال ثلاثة : العلم ، والأهلية ، والخلق الفاضل^(٢).

ومن الكتّاب من يرى أن من أهم أسس وشروط الحوار: لغة الحوار التي توضح المفاهيم والمصطلحات المتداولة بين أطراف الحوار، وهذا يدعو إلى ضرورة الاتفاق على تحديد المصطلحات والمفاهيم ، ومن الأسس أيضاً: التنوع الثقافي وهو أساس التفاعل بين الأمم ، ومن الأسس كذلك التواصل الفعال ، وهو مما يسهم في الازدهار الحضاري لو روعي فيه

(١) علي ليلة: تفاعل الحضارات بين إمكانية الالتقاء واحتمالات الصراع، جامعة عين شمس، كلية الآداب، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٨.

(٢) أ.د/ عبد الرب نواب الدين آل نواب: وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، بحث منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، ص ٢٣.

ضوابطه ، ومن الأسس كذلك التكافؤ الحضاري وهو ما يعنى تساوي الأطراف فتسقط سائر الصفات والألقاب بين المتحاورين^(١).

ويرى البعض أن الأسس المنهجية لضبط التعامل مع الآخر هي: تحديد مجال التعامل ونطاقه ، وتحديد آليات التعامل ، وهي مجمل الإجراءات التنظيمية التي تساعد على بلوغ التعامل إلى مسعاه النهائي، ومن الأسس أيضًا : استناد التعامل إلى معايير يؤمن بها المتعاملان^(٢) ، ومنها: تحديد الغاية من التعامل ، والعدل ، والموضوعية ، والاحترام المتبادل^(٣).

إن الحوار لن يستقيم ويؤتي ثماره المرجوة إلا إذا اشتمل على تلك القواعد والضوابط التي لا بد من توافرها فيه كأحد الأسباب الرئيسة لنجاح الحوار ، ومنها كما ذكر بعض العلماء : « تحديد المصطلحات قبل الحوار ، وموضوع الحوار ، وضرورة العلم بالقضية المطروحة للنقاش وتحريرها لحل النزاع ، وتحديد الغاية من الحوار ، والاتفاق على الثوابت والمسلمات ، والانطلاق من المتفق عليه إلى المختلف فيه ، والتكافؤ

(١) د/ هنية مفتاح أحمد القمطاي: أزمة الحوار الحضاري في عصر العولمة ، دورية الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية ، ٣٠ من مارس ٢٠١٨م، ص ٢ وما بعدها.

(٢) نقلا عن الهيتي: الحوار.. الذات والآخر ، ص ٦٨-٦٩، وجعفر شيخ إدريس: الحوار مجادلة جادة لا مداهنة ، مقال في مجلة البيان، السنة الثامنة عشرة ، العدد: ١٩٠، جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ- أغسطس ٢٠٠٣م، تصدر عن المنتدى الإسلامي، ص ٤٥.

(٣) أ.د/ محمد أحمد حسن القضاة: أسس الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي ، مقال منشور على شبكة الإنترنت، موقع الحوار اليوم .

والمساواة، والبعد عن التعميم ، والالتزام بطرق الإقناع الصحيحة ، وعدم
الالتزام بـضد الدعوى ، وسلامة كلام المحاور ودليله من التناقض ، وعدم
التعصب لفكرة مسبقة ، وإنصاف المحاور ، وسلامة اللغة وحسن
الأسلوب ، والالتزام بأداب الحوار»^(١).

وقد ذكر الأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف أهم
الأسس التي ينبغي أن يبنى عليها الحوار الثقافي والحضاري بين الشرق
والغرب ، وهي :

١- تحكيم لغة العقل ورغبة جميع الأطراف في نبذ العنف والكرهية
والتطرف والإرهاب ؛ إيماناً بأن قضية الصراع ليس فيها رابح مطلق أو
خاسر مطلق ، وأن عواقب الصراع والعنف والتطرف وخيمة على
الإنسانية.

٢- السعي إلى التعارف ، فتعميق الوعي بالآخر وثقافته يجعل الحوار
معه أكثر يُسرّاً وأسهل مأتىً وتناولاً ، وإذا كان الحكم على الشيء فرعاً عن
تصوره كما يقول المناطقة فلا بد أن نتعرف على ما لدى الآخر من قيم
وثقافات ، وهو ما تنبه إليه علماء الأزهر الشريف عبر تاريخه الطويل ،

(١) د/ مصطفى فاضل كريم خفاجي ، والباحث/ عقيل محمد صالح: مفهوم الحوار مع الآخر

وأهميته في الفكر الإنساني ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ، ٢٠١٧م ، المجلد: ٧ ، العدد:

٤ ، وانظر: المرجع السابق ، ص ٧-١١ .

فكتب الشيخ / محمد عرفة - رحمه الله - في مجلة الأزهر عام ١٩٤٦م : « يجب أن يفهم الغرب الإسلام ، وأن يفهم الإسلام مدينة الغرب » .

٣- أن تكون لدى جميع الأطراف الرغبة الحقيقية في إعلاء القيم المشتركة وتجنب جميع مظاهر الأثرة والأنانية والاستعلاء .

٤- التركيز على الإفادة من النافع والمفيد، وغض الطرف عن خصوصيات الآخر الثقافية؛ فيبحث الجميع عن المتفق عليه ، ويعذر بعضهم بعضاً في المختلف فيه ^(١) .

آداب الحوار:

لا شك أن الحوار له العديد من الآداب التي يجب إدراكها والالتزام بها أثناء المحاوره ؛ حيث إنها ضرورة لأي حوار ناجح، فما بالنا إذا كان الحوار بين أبناء جهتين مختلفتين بثقافات مختلفة ، فقد يكون الحوار عالمياً أو يأخذ شكل العالمية ؛ ولذا فلا بد من مراعاة تلك الآداب ، وإن كان من العسير حقاً جمعها تفصيلاً، ولكن نستطيع إجمالها تحت مظلة القرآن الكريم الذي يخاطب بها إجمالاً كل الناس، خاصة وقت الحوار، ومنها على سبيل المثال قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى: ﴿ وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَبُ ﴾ ^(٣) ، وقوله تعالى: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ

(١) انظر: أ.د/ محمد مختار جمعة، أسس الحوار الحضاري ، منشور بصحيفة الأهرام في ٩/٥/٢٠١٤ .

(٢) سورة البقرة : ٨٣ .

(٣) سورة النحل : ١٢٥ .

اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَكُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوهُ مِنْ حَوْلِكَ ﴿١﴾ ،
وقوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴾ (٢) ، وغيرها
من الآيات .

كما أن مشاهد الحوار المختلفة عبر العصور جعلت العلماء والمفكرين
يلجأون إلى استنباط هذه الآداب ومنها ما ذكره البعض من « أن آداب
الحوار ليست مجموعة من الحيل التي يستطيع الفرد من خلالها التغلب على
غيره ، وإنما هي أخلاق كريمة ومهارات تحكم لغة التعامل الراقى بين
الناس ، والتي أتمنى أن يتم تضمينها - بلغة علمية - في المناهج الدراسية ،
ثم فصل القول بذكر بعض من هذه الآداب ، وهي: طلب الحق ، والنية
الخالصة لله تعالى ، والفائدة التي ترجى من الحوار ، وحسن البيان ،
والظرف المناسب ، وهو مراعاة الكلام لمقتضى الحال ، ولا يستأثر بالحديث،
وحسن الإصغاء ، وفهم شخصية من تحاور (٣) .

ومن الآداب: عفة اللسان ، وحسن الصمت ، واحترام شخصية
المحاور ، والحوار بهدوء وروية ، والالتزام بالوقت المحدد (٤) ، والتجرد في

(١) سورة آل عمران: ١٥٩ .

(٢) سورة طه: ٤٤ .

(٣) أ.د/ طارق بن على الحبيب: كيف تحاور، توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان،
١٤٢٦هـ، ص ١٢ وما بعدها.

(٤) نقلا عن الهيتي: الحوار.. الذات والآخر، ص ٨١ وما بعدها ، والعليان: حوار الحضارات في
القرن الحادي والعشرين، ص ١٠٥ وما بعدها.

طلب الحق ، وعدم الانتصار للنفس ، والحذر من الجدل ، والهدوء ، وعدم اتهام النيات^(١) .

على أن التاريخ الإسلامي يحدثنا عن نماذج سامية راعت آداب الحوار وشروطه مع الآخر ، أو أصحاب الديانات الأخرى ، منها على سبيل المثال ما يلي :

— يروي ابن هشام قصة وفد من نصارى الحبشة ، جاءوا وحاوروا رسول الله ﷺ في المسجد وآمنوا ، ثم يروي قصة حوارهم بعد أن آمنوا مع من تصدى لردهم عن الإسلام ، فيقول: « قال ابن إسحاق: ثم قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ ، عَشْرُونَ رَجُلًا أَوْ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مِنَ النَّصَارَى حِينَ بَلَغَهُمْ خَبْرُهُ مِنَ الْحَبَشَةِ ، فَوَجَدُوهُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَجَلَسُوا إِلَيْهِ وَكَلَّمُوهُ وَسَأَلُوهُ ، وَرَجَالَ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أُنْدِيَّتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، فَلَمَّا فَرَعُوا مِنْ مَسْأَلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَمَّا أَرَادُوا دَعَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ فَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ ، ثُمَّ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ ، وَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ ، وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا كَانَ يُوصَفُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ ، فَلَمَّا قَامُوا عَنْهُ اعْتَرَضَهُمْ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُمْ: خَيْبِكُمْ اللَّهُ مِنْ رَكْبٍ! بَعَثَكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ تَرْتَادُونَ لَهُمْ لِتَأْتُوهُمْ بِخَيْرِ

(١) أحمد عبد الرحمن الصويان ، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، ط دار الوطن، الرياض،

الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، ص ٧٧ وما بعدها.

الرَّجُلِ ، فَلَمْ تَطْمَئِنَّ بِمَجَالِسِكُمْ عِنْدَهُ ، حَتَّى فَارَقْتُمْ دِينَكُمْ وَصَدَقْتُمُوهُ بِمَا قَالُ ، مَا نَعْلَمُ رَكْبًا أَحَقَّ مِنْكُمْ . أَوْ كَمَا قَالُوا . فَقَالُوا لَهُمْ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، لَا نُجَاهِلُكُمْ ، لَنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ ، وَلَكُمْ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، لَمْ نَأَلْ أَنْفُسَنَا خَيْرًا»^(١) .

— وروى البخاري - ضمن حديث طويل - نص الكتاب الذي كتبه

النبي ﷺ إلى ملك الروم هرقل ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ^(٢) : كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ .. " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْتَ تَسْلِمَ ، وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾^(٣) .

واختار لحمل هذا الكتاب دحية بن خليفة الكلبي ، وقد روى

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، ٢٩ / ٢ .

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري ، دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، ٤ / ١ ، ومسلم بن الحجاج: صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط / دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢ / ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

(٣) سورة آل عمران : ٦٤ .

البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن أبا سفيان بن حرب (رضي الله عنه) أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا تجارًا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء ، فدعاهم في مجلسه وحوله عطاء الروم ، ثم دعاهم ودعا ترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبًا ، فقال: ادنوه مني، وقربوا أصحابه ، فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذبتني فكذبوه، فوالله لو لا الحياء من أن يأتروا على كذبًا لكذبت عنه^(١).

ثم قال: أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ فقلت: هو فينا ذو نسب ، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ، قلت: لا. قال: فهل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها- قال: ولم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة- قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال

(١) صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم ، دار الهلال ، بيروت، الطبعة الأولى، ص ٣٢٥ .

منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا
تشرکوا به شيئاً، واطرکوا ما يقول آباؤکم، ويأمرنا بالصلاة والصدق
والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب،
وكذلك الرسل تبعث في نسب من قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا
القول قبله؟، فذكرت أن لا. قلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت
رجل يأتي بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آباءه من ملك؟ فذكرت
أن لا، فقلت: فلو كان من آباءه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه،
وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا،
فقد أعرف أنه لم يكن ليزر الكذب على الناس، ويكذب على الله، وسألتك
أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم
أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون،
وكذلك أمر الإيوان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن
يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيوان حين تخالط بشاشته القلوب،
وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بماذا
يأمر؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشرکوا به شيئاً، وينهاكم عن
عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول

حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن
أظنه أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت
عنده لغسلت عن قدميه ، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه ، فلما فرغ من
قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده ، وكثر اللغط ، وأمر بنا فأخرجنا ،
قال: فقلت لأصحابه حين أخرجنا ، لقد أمرّ أمر ابن أبي كبشة ، إنه ليخافه
ملك بني الأصفر ، فما زلت موقناً بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل
الله على الإسلام^(١).

* * *

(١) صفى الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم ، ص ٣٢٧.

الحوار الثقافي بين الشرق والغرب رؤية تاريخية

إن تفاعل الثقافات هو تأثير وتأثر بعضها ببعض على مستويات مختلفة الشدة ، وينتج عنه ظواهر اجتماعية وثقافية متعددة ، وهذا التأثير والتأثر وما ينتج عنه هو في حقيقة الأمر نتاج طبيعي للحوار بين الثقافات ، ويكون هذا التفاعل على خطين:

الخط العمودي: ويقصد به تأثير الحضارات القديمة في الحضارات الجديدة ، أو التي تعقبها في الزمن التاريخي ، حيث إن الحضارة الجديدة تعتمد على مكتسبات الحضارة الأقدم وتأخذ منها وتطبق فيها إنجازات جديدة على الأغلب ، مع احتفاظها بهويتها الحضارية .

ومثال ذلك تأثير الحضارة الإغريقية على الحضارة الرومانية وتأثيرهما مشتركتين على الحضارة الغربية الحديثة ، وكذلك أخذ الحضارة الإسلامية من هاتين الحضارتين ما يلائم الحضارة والثقافة الإسلامية وإضافة إنجازات أخرى إليها في ميادين الطب والرياضيات وعلوم الفلك والبصريات وغيرها ، وكذلك ما أخذته الحضارة الأوروبية في عصر النهضة من الحضارة الإسلامية وإضافة إنجازات أخرى إليها مما أحدثته من ثورة علمية وصناعية تشكل طفرة حضارية في تاريخ البشرية .

الخط الأفقي : ويقصد به تأثير وتأثر الحضارات أو المجتمعات المتعاصرة في الزمن التاريخي بعضها ببعض ، مثل تأثير الحضارة الأوربية على مجتمعاتنا العربية والإسلامية .

ويساعد هذا التفاعل على تقدم المجتمعات المتأثرة ، ويسهم أيضًا في تغير حياتها الاجتماعية والاقتصادية بشكل متفاوت ، وحسب درجة تأثير المجتمعات واستجابتها لهذا التفاعل^(١) .

والأصل في الفكر إذا جرى مجراه الطبيعي المستقيم هو أن يكون حوارًا بين «لا» و«نعم» وما يتوسطهما من ظلال وأطياف ، فلا الرفض المطلق الأعمى يعد فكرًا ، ولا القبول المطلق الأعمى يعد فكرًا ، وطبيعة الفكر الحر هو أن يكون حوارًا متعادل الأطراف ، لا يأمر فيه أحد أحدًا ولا يطبع فيه أحد أحدًا إلا بالحق ، ليس فيه رجحان للموتى على الأحياء ، ولا تفضيل لطائفة من الأحياء على طائفة أخرى^(٢) .

والحوار باعتباره صيغة من صيغ التعامل والتفاعل بين البشر قديم قدم الفكر الإنساني ، فلم تكن مصادفة أن أخذ سقراط يطوف الأسواق

(١) د/ محمد فهد القيسي ، الباحث/ عبد الرحيم جليل الكناني: دراسات في فلسفة التاريخ ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٤م ، ص ١٩١-١٩٤ .

(٢) د/ زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ، الشروق ، الطبعة العاشرة ، ٢٠١١م ، ص ٢٩-٣٠ .

محاوَرًا ، ولا هي مصادفة أن ساق لنا أفلاطون فكره في حوار ، ولكنه كان في الحالتين أمرًا مدبرًا منها مقصودًا ، ليكون أمام الناس من بعد بمثابة الإعلان عن حرية الفكر كيف تكون ، بل بمثابة الإعلان يعلنه الفكر ذاته في أول مرحلة له على طريق التاريخ ، فما قد كان قبل تلك المرحلة إنما كان اعتقادات تؤمن بها القلوب ، أو تطبيقات شهدت بنجاحها الممارسة والفعال .

إن أسلوب الحوار عند سقراط وأفلاطون ، قد كان بمثابة الإعلان يعلنه الفكر ذاته في أول مرحلة له على طريق التاريخ ، بأنه يريد لنفسه أن يكون سؤالًا وجوابًا ، أخذًا وعطاءً ، يريد لنفسه أن يكون حصيلة مداولة ومجادلة ومقاولة ، تنصب على العقدة المعروضة للحل ، إلى أن تنحل العقدة خيوطًا ، وحتى تنفصل لحمة المشكلة عن سداها ، وتتعرى هياكل الأفكار والمذاهب ، وعندئذ نبصر في جلاء أين في تلك الأنسجة مصادر الخطأ ، وأين فيها موارد الصواب ، أين في بنائها حكم العقل وأين نزوة الهوى ، حتى إذا ما غربلنا الخليط وأبعدنا الغلال عن الحصى ، كان لنا عندئذ أن نضم الصواب إلى الصواب ؛ فتكتمل في أذهاننا صورة الحق الذي نسير به على صراط الهدى^(١) .

(١) د/ زكي نجيب محمود : تجديد الفكر العربي ، ص ٣٠ .

وجاءت العصور الوسطى التي سادها الدين - إيماناً بالقلوب أو بحثاً وتحليلاً بالعقول - فعادت الثقافة كما كانت قبل عهد الرومان ، جزءاً من الحياة العملية ، وفقدت استقلالها الذي يجعلها كالسلعة ينفرد بها فريق من الناس دون فريق ، يأخذونها ويعطونها ويرسلونها مع قادة الجيوش إلى البلاد التي يغزونها ، عادت الثقافة لتكون هي طريقة الحياة ووجهة النظر وأساس العمل والسلوك ، تظهر في بناء المساجد والكنائس والمنازل ، وفي صناعة الأواني والمصايح ، وفي زخرفة الجدران وأغلفة الكتب وصفحاتها، وعلى البُسط والمقاعد والوسائد وزجاج النوافذ وأقمشة الثياب ، كان الناس في العصور الوسطى كما كانوا أيام اليونان الأقدمين ، وكما كانوا قبل ذلك إبان الحضارة المصرية القديمة وغيرها من حضارات الشرق ، يحملون ثقافتهم وكأنهم يحملون الهواء الشفاف يستنشقونه وهم لا يشعرون بوجوده ، وذهبت العصور الوسطى ، وجاء عصر النهضة الأوروبية ومعه بدايات الاستعمال الجديد لكلمة «ثقافة» ، وهو الاستعمال الذي يشيع بين جماعة المتعلمين إلى يومنا هذا ، ومع الثورة الصناعية في أوائل القرن الماضي (التاسع عشر)، جعلت الثقافة تزداد انسلاخاً عن دنيا العمل ، إذ لم يعد الصانع - بعد ظهور الآلة في الصناعة - يستخدم عقله ويديه في عملية واحدة^(١) .

(١) د/ زكى نجيب محمود : تجديد الفكر العربي ، ص ٦٤ - ٦٥ .

الحلقات التاريخية للحوار الثقافي بين الشرق والغرب :

مرت مراحل الحوار بين الشرق والغرب عبر حلقات متصلة لم تنقطع على مر السنين، كان الخلاف المطرد بين هذه الحلقات هو الدور الذي يلعبه كل من طرفي الحوار من مؤثر أو متأثر ، ويمكن النظر في هذه الحلقات في إلمامة سريعة من خلال نماذج لهذا الحوار عبر الحقب التاريخية المختلفة:

قدوم الغرب إلى الشرق نهلا للعلوم :

قامت علاقات ثقافية وثيقة بين ممالك غرب أوروبا عمومًا والدولة العربية الإسلامية في العصر الوسيط في القرن الحادي عشر الميلادي ، واهتمت الدول الغربية بإرسال بعثات تعليمية إلى الأندلس وغيرها من حواضر العالم الإسلامي، مثل صقلية؛ لدراسة العلوم والفنون والصناعات وأفاد الغرب من هذه البعثات التي عادت إلى أوروبا متأثرة باللغة والعلوم والسلوك ، ولم تبرز ظاهرة تأثيرها على الثقافة الإسلامية ، بل كان الطلبة يمثلون الجانب المتأثر الواضح التأثر^(١).

(١) انظر: د/محمد عبد المنعم خفاجي: حوار الحضارات بين الشرق والغرب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، سلسلة قضايا إسلامية ، عدد: ٢٠٦ ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م ، ص ٧٦ ، ود/علي بن إبراهيم النملة: مجالات التأثر والتأثير بين الثقافات المتأثرة بين شرق وغرب ، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص ٥٧.

ومثال على ذلك الرسائل المتبادلة بين الخليفة الأموي المعتمد بالله هشام الثالث في الأندلس (٤١٨-٤٢٢هـ / ١٠٢٩-١٠٣١م) والملك جورج الثاني ملك بريطانيا ، حيث إنها تكشف مدى حاجة الغرب إلى النهوض العلمي والأخذ عن المسلمين.

كتب "جورج" ملك إنجلترا والسويد والنرويج قائلاً : «إلى صاحب العظمة الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس هشام الثالث جليل المقام ، من جورج الثاني ملك إنجلترا والسويد والنرويج ؛ بعد التعظيم والتوقير؛ فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم ؛ لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة ، وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة دوبانت على رأس بعثة من أشرف الإنجليز ، لتتشرّف بلثم أهداب العرش والتماس العطف ، وتكون وزميلاتها موضع عناية عظمتكم وفي حماية الحاشية الكريمة ، والحدب من قبل اللواتي سوف يقمن على تعليمهن، وقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها ، مع التعظيم والحب الخالص من خادمكم المطيع جورج.أ.».

ويجيبه الخليفة الأموي هشام الثالث بالتالي: « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين ، وبعد ؛ إلى ملك إنجلترا

وإيكوسيا وإسكندفيا الأجلّ ، اطلعت على التماسكم فوافقت على طلبكم بعد استشارة من يعنيههم الأمر من أرباب الشأن ؛ وعليه نعلمكم أنه سوف ينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين ؛ دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي، أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد ، وبالمقابل أبعث إليكم بغالي الطنافس الأندلسية ، وهي من صنع أبنائنا ، هدية لحضرتكم ، وفيها المغزى الكافي للتدليل على التقائنا ومحبتنا ، والسلام. خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ديار الأندلس: هشام الثالث»^(١).

ومن خلال الخطاب السابق يبدو الحوار الثقافي بين الشرق والغرب القائم على العلاقات الودية والعلمية في طلب العلم والحث على إرسال البعثات العلمية.

قدوم الغرب إلى الشرق طمعاً في السيطرة السياسية والهيمنة الاقتصادية:

العلاقات بين الشرق والغرب كانت دائماً موضوع اهتمام الباحثين الذين يعنون بالبحث عن تفسير لظاهرة التخلف الحضاري التي يعاني منها الشرق ، والتقدم الكبير الذي حققته الحضارة الغربية ، وإشكالية التخلف الحضاري شغلت المفكرين العرب على وجه الخصوص منذ أوائل القرن

(١) د/ محمد عبد المنعم خفاجي، حوار الحضارات بين الشرق والغرب ، ص ٧٧-٨٧، وانظر أيضاً: علي بن إبراهيم النملة، مجالات التأثير والتأثير بين الثقافات المتأقفة بين شرق ، ص ٥٧-٥٩.

الماضي (العشرين)، ولا زالت تحتل جانبًا كبيرًا من اهتمامهم ، بقدر ما شغلت في السنوات الأخيرة بعض الباحثين من أبناء الغرب أنفسهم ، فتنوعت الاجتهادات في البحث عن تفسير لتلك الظاهرة ، وفي تأصيل النهضة العربية الحديثة ، دوافعها ، إنجازاتها ، عثراتها ، معوقاتنا . ونحن هنا لا نناقش ظاهرة التخلف الحضاري فليس هذا مكانها ، ولا نعالج النهضة العربية ونحدد ملامحها ، ولكننا نبحث عن إجابة لسؤال محدد يتصل بعلاقة الشرق بالغرب ، ويضرب بجذوره في أعماق تاريخ العلاقة الجدلية بينهما ، وهو : هل كان قدوم الغرب إلى المنطقة العربية في نهايات القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ، بداية للنهضة فيها أم إجهاضاً لنهضة عربية كانت في مرحلتها الجنينية ؟ إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب أن نلقى نظرة على عوامل الجمود والركود الحضاري الذي عاشته المنطقة حتى القرن الثامن عشر ، عندما جاء الغرب يدق أبوابها بعنف عند نهايته^(١) .

وجاءت بداية الجمود عندما تعرضت مصادر التجارة العالمية للمنافسة من جانب قوي خارج نطاق العالم العربي ، كبروز دور الصين في البحار الشرقية ، ونشاط القوى الأوروبية في البحر المتوسط ، الذي بلغ

(١) رءوف عباس حامد ، كتابة تاريخ مصر إلى أين .. أزمة المنهج ورؤى نقدية ، دار الكتب والوثائق

القومية ، القاهرة ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ، ص ٨ .

ذروته بالحروب الصليبية ، وثبتت أقدام التجارة البيزنطية وتجارة المدن الإيطالية في حقل الوساطة التجارية بين الشرق وأوروبا ، بما ترتب على ذلك من انقطاع جانب من الموارد التجارية التي ذهبت إلى الخارج بعيداً عن المنطقة العربية ، وبلغ هذا العامل ذروة التأثير على التطور الحضاري في المنطقة بعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح وسيطرة البرتغاليين على مصادر التجارة الشرقية ، وإحكام إغلاق مداخل البحار العربية في وجه التجارة الشرقية^(١) .

ولما لم تجد الكيانات الإسلامية سبيلاً لدفع رواتب الجند - مع احتدام الأزمة الاقتصادية التي اقترنت بحروب طويلة على مدى ما يقرب من القرنين ونصف القرن ضد الصليبيين ثم ضد المغول ، بما صاحب ذلك من استنزاف للموارد الاقتصادية شل حركة التطور الحضاري - لجأت الدولة إلى اتباع نظام الإقطاع العسكري، وترتب على ذلك أمران في غاية الخطورة، أولهما : تقلص النظام الاقتصادي النقدي الذي صاحب ازدهار التجارة ، والتركيز على الإنتاج الزراعي المعاشي الذاتي الاكتفاء ، وتلك سمة أساسية من سمات المجتمع الإقطاعي، وثانيهما : استشراف ظاهرة التفكك السياسي، إذ سرعان ما استقل أمراء الجند بالأقاليم التي يحكمونها مع الاحتفاظ للخليفة العباسي بالسيادة الاسمية ، ثم ما لبثت الكيانات الصغيرة أن

(١) رءوف عباس حامد : كتابة تاريخ مصر، ص ٨٥-٨٦.

تناحرت وتحاربت إلى حد الاستعانة بالصليبيين ضد بعضهم البعض على نحو ما حدث في الشام ، هذا فضلاً عما تعرضت له المراكز الحضارية الإسلامية من دمار على يد الصليبيين والمغول ، ثم على يد الترك والبدو في عصور التفكك السياسي .

وكان لا بد أن يترك ذلك كله أثره السلبي على التطور الحضاري؛ فقد أغلق الاجتهاد في الدين ، ولم يعد للفكر العقلاني مكان في مجتمع ذلك العصر، فانفضت سوق العلم ، ونضب معين الفلسفة ، وتدهور مستوى الفن ، وسادت النزعات التي تدعي الصوفية وتحاول أن تجد للناس مسارب للهرب من واقعهم إلى عالم الغيب فقط ، وجاء الجند من عناصر بدوية ، الأتراك في المشرق الذين جلبوا معهم من تراثهم البدائي التقليدي ما أصاب البناء الحضاري العربي الإسلامي في الصميم ، وحدث نفس الشيء في المغرب ، فبدأت تزحف العناصر البدوية على الجندية حاملة معها جرائم العصبية^(١) .

وبمجيء العثمانيين وسيطرتهم على البلاد العربية تم تكريس أسباب التخلف الحضاري على أيديهم ، فقد فرضوا العزلة التامة بين العالم العربي والعالم الخارجي ، وبذلك لم يعد باستطاعة العرب متابعة العلاقة الجدلية مع الغرب ، والوقوف على تقدمه الحضاري الذي تزامن مع التدهور الحضاري

(١) رءوف عباس حامد : كتابة تاريخ مصر، ص ٨٦ - ٨٧ .

الإسلامي ، كما أن العثمانيين كانوا أهل بدَاوة لا عهد لهم بصنع الحضارة ، والدولة عندهم لها وظائف لا تتجاوز حدودها ، هي صد غائلة الأعداء وحفظ الأمن داخل البلاد في نظير تحصيل الضرائب من الرعية ، والفصل في المنازعات التي تقوم بين الناس ، أما ما خلا ذلك من أمور تتعلق بحياة الناس الاقتصادية والاجتماعية ، فقد تركها العثمانيون للرعية يديرونها وفق ما استقرت عليه عاداتهم وتقاليدهم .

وانعكس ذلك كله على الإبداع الحضاري ، فبارت سوق التفكير العقلاني الذي كان وراء الازدهار الحضاري الإسلامي ، وأصبح بعض العلماء يعتقدون أن ما أبدعه السلف يمثل ذروة لا يستطيع بلوغها أحد ، أو يأتي فيها بجديد ، وأن كل ما يستطيعونه هو إعادة صياغتها وشرح الغريب من ألفاظها ، وبذلك اتجهوا للتقليد ، ومقاومة أي محاولة للابتكار باعتبارها معول هدم لما بناه السلف يرمي صاحبها بالزندقة والإلحاد^(١).

مرحلة الاستشراق وجهود المستشرقين:

وفي إطار الحوار الثقافي بين الشرق والغرب ظهرت جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي ونشره ، فإن التراث العربي الإسلامي بمختلف أبعاده ومضامينه يمثل موضوعاً مهماً للغرب الأوروبي ، ذلك أنه

(١) رءوف عباس حامد : كتابة تاريخ مصر ، ص ٨٧ ، بتصرف .

يشكل المحور الرئيس للانطلاق نحو تحقيق التقدم الحضاري ، فقد أدرك الأوروبيون من خلال احتكاكهم بالمسلمين وحضارتهم في إسبانيا وجنوب إيطاليا وصقلية ، وبلاد الشام - أثناء الحروب الصليبية - ضرورة تحرير العقل الأوروبي من قيوده سواء أكانت دينية أم سياسية ، والاطلاع على علوم العرب المسلمين ودراستها للدخول إلى عصر النهضة.

لذلك كان منظور الغرب إلى الشرق العربي الإسلامي منذ البدء منظورًا حضاريًا ، فهو لم يتوقف عند الاهتمامات الدينية أو الهيمنة الاستعمارية للشرق وكنوزه ، بل أخذ الشرق في منظور الغرب معنى التفاعل الحقيقي بين الحضارات القديمة ، وخاصة الحضارة الإغريقية ، والمكونات الأساسية للنموذج المعرفي الإسلامي ، الأمر الذي أدى في النهاية إلى الاهتمام الحضاري أو المعرفي بتراثنا لصنع حضارتهم ، وبدأ هذا الاهتمام بجمع المخطوطات الشرقية من مختلف بلدان الشرق العربي الإسلامي، سواء بطرق مشروعة أو غير مشروعة^(١).

الأصول التاريخية لحركة الاستشراق :

هناك دائمًا نقاش دائر حول الأصول التاريخية لحركة الاستشراق وتطورها وأهدافها ومراميها وعلاقتها بالفكر الاستعماري ، ومن هنا كان لا بد في البداية من توضيح مفهوم الاستشراق في اللغة والاصطلاح ، وبعد

(١) عباس محمد حسن سليمان، جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي ونشره ، دار

المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، ص ١٥ .

البحث عن معنى كلمة الاستشراق في معاجم اللغة العربية القديمة اتضح أنها لم ترد فيها، وكل ما ورد كان في بيان معنى كلمة الشرق، وتحديدًا لجهته ومكانه ، فالشرق هو: (بتسكين الراء ، المكان الذي تشرق فيه الشمس) ويسمى الموضع المشرق ، فكلمة الشرق هي التي ورد بيانها في المعاجم اللغوية القديمة ، أما كلمة الاستشراق إنما ظهرت بعد ذلك، وهي كلمة مشتقة من الشرق، لحقتها الزيادة بالألف ، وبالمهمزة والسين والتاء للدلالة على الطلب ، فصارت استشراقاً ، ومن هنا نخلص إلى أن كلمة الاستشراق في اللغة مشتقة من الشرق ومرتبطة بالمعنى الجغرافي لها وهو جهة الشرق.

غير أنه لم يتفق الباحثون على مفهوم الاستشراق في الاصطلاح ، حيث تعترض الباحث عدة إشكاليات عند محاولته تعريف مصطلح «الاستشراق» ودراسته ؛ نظراً لوجود الكثير من الخلافات العلمية حول هذا المصطلح لم يتم حسمها بعد بين الباحثين، فقد: «اتفق الباحثون في مجال الاستشراق على ألا يتفقوا حول تعريف شامل ومحدد ونهائي لمصطلح «الاستشراق» ودراسته ؛ فمن ناحية لم يتم تحديد طبيعة الاستشراق في حد ذاته سواء أكان «علمًا» أم «ظاهرة» أم «حركة»، ومن ناحية أخرى فإن كل باحث أو دارس عرفه حسب مفهومه له أو حسب زاوية المعالجة التي يتناولها منها ، فمن تناوله من الناحية التاريخية وضع له تعريفًا يتلاءم مع علم التاريخ ، أما من درسه من الناحية السياسية فقد وضع له تعريفًا سياسيًا

.... وهكذا ؛ وربما يرجع ذلك إلى شمول «الاستشراق» لعدد كبير من العلوم الإنسانية (التاريخ ، والجغرافيا ، والسياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والأنثروبولوجي ، ... إلخ) . لذلك نجد أن تعريفاته تعددت واختلفت وتداخلت، وتجدر الإشارة إلى وجود تحول في مفهوم الاستشراق عن معناه الجغرافي إلى معناه الحضاري والمعرفي للشرق فأصبح الاستشراق لا يخضع للعامل الجغرافي بل للحضارة التي ارتبطت بالشرق، وعُرفت به، وهي حضارة العالم الإسلامي والعربي^(١).

ومن هنا ظهرت في أوروبا لأول مرة كلمة «مستشرق» **orientalist** في إنجلترا عام ١٧٧٩م، وكلمة **Orientaliste** في فرنسا عام ١٧٧٩م، ثم أُدرجت كلمة **Orientalisme** في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م.

وفي ضوء ذلك وبناء على ما سبق فالبعض يقدم تعريف «الاستشراق» على أنه : حركة علمية غربية (أوروبية) هدفها دراسة كافة شئون الشرق (سياسية - اقتصادية - تاريخية- أنثروبولوجية إلخ) ، لخدمة الأهداف الاستعمارية للسيطرة على بلدان العالم الشرقي (الإسلامي)؛ حيث إن المصطلح ظهر مع بدايات الحركة الاستعمارية الغربية لبلدان الشرق « آسيا وأفريقيا» في

(١) هدى بنت ناصر محمد السلاي : موقف المستشرقين من علم الكلام والأشاعرة ، الطبعة الأولى،

مكتبة الرشد ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٢م، ص ١٧-٢٣.

القرن الثامن عشر، حيث نشأ في مجمله في ظل الاستعمار وبرعايته وخدمته ،
باعتباره نوعاً من الاستعمار الثقافي للعالم العربي والإسلامي^(١).

وفي القرن الثامن عشر كانت دراسة (المسألة الشرقية) قد تبلورت
بشكل واضح أثناء وجود العثمانيين في جنوب شرقي أوروبا، وسيطرة
الأتراك على البلقان من منتصف القرن الرابع عشر حتى بدايات القرن
التاسع عشر^(٢).

بزوغ الاهتمام بجمع المخطوطات الشرقية واقتنائها :

ليس هناك تاريخ محدد لبداية الاهتمام الغربي بالتراث العربي الإسلامي
المخطوط، كونه يعبر عن تقدم حضاري راقٍ في شتى مجالات العلوم ، ولكن
هناك دلائل قوية تؤكد أن هذا الاهتمام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإنشاء المجمع العام
للكنائس الشرقية والرومانية الكاثوليكية في فلورنسا عام ١٤٣٩م ، وذلك
تحت رعاية الدوق كوسيمو ميتسي **Cosimo Medici**، وكان أحد الوفود
التي حضرت هذا المجمع وفد الكنيسة المصرية برئاسة الأب أندرياس رئيس
دير سانت أنتوني وسانت بول الذي أهدى البابا مجموعة من المخطوطات
القبطية والعربية ، وهي محفوظة الآن في مكتبة لورنزiana في **Laurenziana**

(١) هدى بنت ناصر محمد السلاي : موقف المستشرقين من علم الكلام والأشاعرة ، ص ١٧ - ٢٣ .

(٢) بيتر شوجر : أوروبا العثمانية ١٣٥٤ - ١٨٠٤ ، ترجمة: عاصم الدسوقي ، دار الثقافة الجديدة ،

الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م ، ص ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩٤ .

فلورنسا، والمجموعة العربية منها تعد أقدم مجموعات المخطوطات في أوروبا
جمعاء خلا إسبانيا، وعلى الرغم من أن هذه المجموعة لم تستقر في مكتبة
الفاتيكان، فإن إهداءها للبابا أثار اهتمامه بالمخطوطات العربية والإسلامية^(١).
ولم تأت نهاية القرن الثامن عشر الميلادي حتى كانت الحملة النابليونية
على مصر سنة ١٧٩٨م، التي أدت إلى كشف النقاب عن أسرار كثيرة كانت
مجهولة عن مصر وبلاد العرب ، مما جعل أحد المؤرخين الفرنسيين يصفها
بأنها تطبيق للاستشراق ، فقد كان من أثر هذه الحملة على فرنسا أن نابليون
قد اصطحب في حملته هذه بعضاً من العلماء الذين انتهزوا الفرصة لتعلم
العربية بين المصريين، وكانت فئة من السوريين اجتمعوا بهم بصفة مترجمين،
منهم: ميخائيل صباغ (١٧٠٨ - ١٨١٦م)، وإلياس بقطر (١٧٤٨ -
١٨٢١م)، والقس رافائيل الراهب المخلص (١٧٥٧ - ١٨٣١)، وغيرهم،
فاستعان أولئك العلماء بهم لدرس العربية ، ولما عادوا إلى فرنسا نشروا تلك
اللغة بين مواطنيهم مما أدى إلى ترقى الآداب الشرقية منها^(٢).

أما أثر هذه الحملة على مصر وبلاد العرب ، فينحصر من ناحية في
تأسيس نابليون للمجمع العلمي المصري أو معهد مصر **Institu**
Egypte. وكان يضم هذا المعهد ثمانية من علماء الرياضيات ، والاقتصاد

(١) عباس محمد حسن سليمان، جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي، ص ٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥-٣٦.

السياسي، والآداب ، والفنون ، وأسند رئاسته إلى عالم الرياضيات الشهير «جاسبار مونج»، في حين اتخذ نابليون لنفسه لقب « نائب رئيس المجمع العلمي المصري» وكان يفتخر جدًا بهذا اللقب ، حتى إنه كان يوقع به العديد من بياناته وقراراته بدلًا من لقبه العسكري بوصفه قائدًا أعلى للحملة الفرنسية ، وقد نشر علماء المجمع خلاصة أبحاثهم في كتاب «وصف مصر»^(١)، ومن ناحية أخرى كان من أثر هذه الحملة دخول الشرق الأدنى العربي في حيز الحركات السياسية الأوروبية .

كما نجم عن تلك الحملة استعادة الاتصال المباشر بين العرب والغرب بعد مرور عدة قرون ، فقام عدد كبير من الرحالة الأوروبيين بزيارة الشرق، وكان من الأهمية بمكان للتعرف على الشرق والغرب على حد سواء أن ازداد عدد الطلبة المصريين القادمين إلى الجامعات الأوروبية ولا سيما إلى غرب أوروبا ، حيث ارتشفوا من مناهل ثقافة الغرب وفنونه ، وخلفوا في سكان الغرب اهتمامًا كبيرًا بالثقافة العربية^(٢).

البعثات العلمية إلى أوروبا :

تعد البعثات العلمية إلى أوروبا حلقة أخرى من حلقات الحوار الثقافي ، حيث نجحت الحملة الفرنسية في تحريك المياه الراكدة في عقول

(١) عباس محمد حسن سليمان: جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي ، ص ٣٦ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦ - ٣٧ .

الشرقيين ، وخاصة المصريين والعرب المشاركة ، ... ولعبت بعثة العلماء التي صاحبت الجيش الغازي أهم الأدوار عندما فتحت العيون على العلوم الحديثة من الكيمياء والجغرافيا والطوبوغرافيا والتاريخ والإدارة والاقتصاد والفن ، وغيرها من العلوم العلمية والإنسانية ... والتنبيه على أنهم - عربًا ومسلمين - أصل هذه العلوم ، وكانت هذه البعثات إيذانًا ببدء سقوط سور التخلف العثماني والمملوكي ، وفتحت أبوابًا آمنة تصل حياة هذه الأمة وحاضرها ومستقبلها بهذه الحضارة الأوروبية الحديثة ، وبالتراث الحضاري العربي والإسلامي في عصره .

وفي سنة ١٨٢٦م قررت الحكومة المصرية إيفاد أكبر بعثاتها العلمية وأهمها إلى فرنسا ، كي يطلب طلابها العلم الحديث هناك ، وهذه البعثة التي صاحبها رفاة الطهطاوي إلى باريس كانت - بحق - الإطالة المهمة والحقيقية والكبرى للعنصر المصري والعربي على الحضارة الأوروبية الحديثة في مواطنها وديارها .

وكان رفاة الطهطاوي إمامًا وواعظًا لهذه البعثة رشحه شيخه حسن العطار : «وهكذا تسنى لرفاعة الطهطاوي (١٢١٦ - ١٢٩٠هـ / ١٨٠١ - ١٨٧٣م) أن يغادر البلاد المصرية وعمره خمسة وعشرون عامًا ، وأقام بفرنسا خمس سنوات ، أفاد منها أيما إفادة : أتقن فيها اللغة الفرنسية ،

واكتشف أسرار النهضة والتفوق والتقدم والمدنية ، وشعّ بمعارفه المكتسبة الجديدة ما يُغيّر به الحياة فيما حوله ، ويدعو إلى بناء مجتمعات متطورة في بلاده وغير بلاده من أطراف العالم الإسلامي»^(١).

فجعل يقارن بين أحوال بلاده وبلاد الفرنج ليخرج بأسباب الضعف والتدهور في بلاده والقوة والتقدم هناك: وهكذا تجلّت له الفوارق واتّضحت له النتائج ، فالفرنجة إنّما قويت شوكتهم ببراعتهم وتدبيرهم ومعرفتهم في الحرايات واختراعهم فيها، وهذا ما ينعدم انعدامًا كاملاً في مجتمعاتنا، فسائر تلك العلوم المعروفة معرفة تامة لدى الفرنجة مجهولة بالكلية عندنا ، ومن جهل شيئاً فهو دون من أتقنه ، وكلما تكبر الإنسان عن تعلّمه شيئاً مات بحسرتة ، وقد جعل القصد من دعوته هذه إلى الإصلاح حثُّ أهل ديارنا على استجلاب ما يكسبهم القوة والبأس من جهة ، وما يؤهلهم لإملائهم الأحكام من جهة أخرى^(٢).

وظل يصدع بدعوته إلى النهل من مناهل العلوم الغربية ، ويوضح الغايات من هذه الدعوة : «فالغاية الأولى التي ترفع من مكانة الأمة، وتجعلها أسوة لغيرها ، هي كمال الأخلاق والفضائل الإنسانية المتوصل

(١) الطاهر بن عاشور التونسي : مقاصد الشريعة الإسلامية ، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة،

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، ١ / ٦٩.

(٢) المرجع السابق، ١ / ٧٠.

إليها بالآداب الدينية والتربية العالية السلوكية، وهي التي تصون الناس عن الأذناس وتصرفهم عن الأرجاس.

والغاية الثانية هي المنافع العمومية التي تعود على المجتمعات بالثروة والغنى وتحسين الحال وتنعيم البال ، وتبعدها عن الحالة الأولى الطبيعية^(١). وقد انتشرت آراء الطهطاوى ودعوته في مختلف الأوساط ، وخاصة بعد توليه رئاسة مدرسة الألسن ، بانتشار كتابه الجليلين المتميزين: تخلص الإبريز في تلخيص باريز ، ومناهج الألباب المصرية في مباحج الآداب العصرية، «ولعل مما يفصح عن غرضه من تأليف الكتابين ، ويحمل دعاة النهضة إلى الاقتباس منها ، قول جومار - أحد أساتذته - في تقريره لكتابه الأول: إن هذا التأليف يستحق كثيراً من المدح ، وإنه لمصنوع على وجه يكون به نفعٌ عظيم لأهالى بلد المؤلف ، فإنه أهدى إليهم نبذاً صحيحة من فنون فرنسا وعوائدها وأخلاق أهلها وسياسة دولتها ، ولما رأى أن وطنه أدنى من بلاد أوروبا في العلوم البشرية والفنون النافعة أظهر التأسف على ذلك ، وأراد أن يوقظ بكتابه أهل الإسلام ، ويدخل عندهم الرغبة في المعارف المفيدة ، ويولد عندهم محبة تعلم التمدن الإفرنجي والترقي في صنایع المعاش ، وما تكلم عليه من المباني السلطانية والتعليمات وغيرها أراد

(١) الطاهر بن عاشور التونسي: مقاصد الشريعة الإسلامية، ١ / ٧٠.

أن يذكر أهالي بلده بأنه ينبغي لهم تقليد ذلك»^(١).

وهكذا شكلت البعثات العلمية للغرب منذ عصر محمد علي حتى الآن حلقة مهمة من حلقات الحوار الثقافي القائم على تبادل المعرفة ، ونهل الشرق من علوم الغرب ، في محاولة للنهضة واستعادة الدور الحضاري .
ثم توالى بعد ذلك حلقات الحوار الشرقي الغربي في حقبة الاستعمار الغربي للشرق والصراع من أجل الاستقلال الذي تحقق بعد قرن تقريباً، وحاول فيه الشرق الفكك من قبضة الغرب المستعمر، وقد ظهرت بعد ذلك الدعوة لتبادل حوار ثقافي متوازن عرقلته معوقات كثيرة ، وظهرت آليات كثيرة أيضاً لتعزيزه ، وهو ما نتناوله في المباحث التالية.

* * *



(١) الطاهر بن عاشور التونسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ، ١ / ٧٠ .

أهداف الحوار الثقافي بين الشرق والغرب

لا بد لأي نشاط إنساني من تحديد أهدافه المرجوة منه قبل البدء فيه ، وكذلك الحوار بصفة عامة والحوار الثقافي بصفة خاصة ، لذلك كان هذا الفصل محاولة للرد على هذا التساؤل : ما أهداف الحوار الثقافي بين الشرق والغرب؟

إن وضع أهداف للحوار قبل البدء فيه - يُتفق عليها ابتداءً بين الأطراف المتحاوره - من شأنه أن يجعله حوارًا ناجحًا ، أما إذا كان الحوار بلا أهداف مسبقة ومحددة فإنه يتحول إلى حوار عقيم لا يفضي إلى نتائج نافعة، وعلى ذلك فإن وضع أهداف للحوار أحد العوامل المهمة في نجاحه. وقد يتبادر إلى الذهن تساؤل عن الهدف من الحوار بشكل عام ، وهو ما يمكن الإجابة عنه بأن أهداف وشروط أي موقف حوارى هي: إيجاد حل مثالي لسوء الفهم وعدم الاتفاق حول المشكلات والقضايا الإنسانية بين أطراف الموقف الاتصالي ، من خلال الانفتاح على الآخر واحترامه بعيدًا عن أساليب الخداع والتضليل والتكتيك ، كما أن من أهداف الموقف الحوارى أيضًا السماح للأفراد بالتفاهم والتوافق المشترك على أساس مجموعة من الشروط والمعايير المتعلقة بالبحث عن الحقيقة والعدالة ؛ لأن هذه المعايير أو الشروط ليست جميعها قابلة للنقاش والتفاوض ؛ فبعضها هو الذي يقبل التفاوض والنقاش ، أما بعضها الآخر فيعد من المسلمات ،

وهذا يُعد أيضًا من أهداف الحوار الأخرى ، وهو التعرف على ما هو قابل للرفض بشكل عام ، وما هو قابل للنقاش والتفاوض ، ومن ثم الحوار حوله^(١) .

فهناك أهداف عامة للحوار تصلح لأن تكون قاعدة متينة يتأسس عليها أي حوار ناجح، يمكن إجمالها على النحو التالي : المحاوره وسيله مهمه من وسائل تبليغ الحق، ونصرته، ودفع الباطل، والهدف منها الوصول إلى الحقيقة ، فالحوار أداة وعي مشتركة تتكوب فيها الآراء ، وتستعرض فيها المسائل، وهو وسيله من وسائل الشورى والتناصح والتعاون على البر والتقوى^(٢) .

والأهداف العامة للحوار متسقة تمامًا مع قيم العربي وموروثه الثقافي والديني ؛ ففي الإسلام - الدين الرئيس للعرب- نجد الدعوة إلى الحوار مع وضع مقومات له وأصول وشروط تؤدي إلى الانتفاع به ، والآيات الدالة على ذلك من القرآن الكريم كثيرة ، ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِيُوحْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُّشْتَرَكَةٍ وَفَرَادَىٰ ثَمَرَ تَفَكَّرُوا مَا بَصَّاحِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾^(٣) ، وفي تفسير

(١) أ.د/ منى أبو الفضل ، د/ أميمة عبود ، أ.د/ سليمان الخطيب : الحوار مع الغرب آلياته .. أهدافه .. دوافعه ، ص ٧٥ .

(٢) أحمد عبد الرحمن الصويان ، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ، ص ٧٨ .

(٣) سورة سبأ : ٤٦ .

هذه الآية الكريمة يقول السعدي: ﴿قُلْ﴾ يا أيها الرسول ، لهؤلاء المكذبين المعاندين، المتصددين لرد الحق وتكذيبه ، والقدح بمن جاء به : ﴿إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِكَ﴾ أي: بخصلة واحدة ، أشير عليكم بها ، وأنصح لكم في سلوكها، وهي طريق نصف ، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي ، ولا إلى ترك قولكم ، من دون موجب لذلك ، وهي: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ﴾ أي: تنهضوا بهمة ونشاط ، وقصد لاتباع الصواب ، وإخلاص لله ، مجتمعين ، ومتباحثين في ذلك ، ومتناظرين ، وفرادى ، كل واحد يخاطب نفسه بذلك.

فإذا قمتم لله ، مثنى وفرادى ، استعملتم فكركم ، وأجلتموه ، وتدبرتم أحوال رسولكم ، هل هو مجنون فيه صفات المجانين من كلامه ، وهيئته ، وصفته؟ أم هو نبي صادق ، منذر لكم ما يضركم ، مما أمامكم من العذاب الشديد؟

فلو قبلوا هذه الموعظة ، واستعملوها ، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله ﷺ ليس بمجنون ، لأن هيئاته ليست كهيئات المجانين ، في خنقهم ، واختلاجهم ، ونظرهم ، بل هيئته أحسن الهيئات ، وحركاته أجل الحركات ، وهو أكمل الخلق ، أدباً ، وسكينة ، وتواضعاً ، ووقاراً^(١).

(١) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (المعروف بتفسير السعدي)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٦٨٢/١.

فالأية الكريمة وإن كانت تحاطب المكذبين للرسول ﷺ إلا أنها تبين منهج التفكير وإدارة الحوار مع المختلفين حول قضية معينة ، منهج قائم على إعمال العقل، وهو منهج منطقي يتفق عليه الجميع .

وفي أي حوار لا بد أن يكون الإنسان هو الهدف الرئيس منه، «وينبغي أن تبدأ أهداف أي حوارٍ من الإنسان ، وتدور حول شئونه وقضاياها، وتعود إليه، لئلا يفقد الحوار قيمته وأهميته ومضمونه الغني»^(١) .

وإذا كان الإنسان هو المحور الأول لأهداف الحوار فإن ذلك يقتضي بالضرورة أن تتشعب أهداف الحوار بتشعب القضايا والمجالات التي تدور حول الإنسان، وعلى ذلك فأهداف الحوار الثقافي بين طرفيه كثيرة متنوعة تتنوع باختلاف القضايا والمحاورين وأطر العلاقات بينهم.

ويمكن القول إن للحوار أهدافاً حقيقية وأخرى مجازية ، أو بالأحرى أهدافاً عملية وأخرى نظرية ، نستطيع إجمالها على النحو التالي:

تتمثل الأهداف العملية في تحقيق العدل والتعاون بين الشعوب ، وتبادل الخبرات في مجالات الفن والثقافة والعلوم والاقتصاد والسياسة والآداب .

(١) د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري : الحوار الحضاري والثقافي: أهدافه ومجالاته ، مقال

نشر في العدد ٤٦٧ ، من مجلة الرابطة ، ص ١٤ .

وتتمثل الأهداف النظرية في تبادل وجهات النظر المختلفة، وبيان المفاهيم الثابتة لدى كل طرف ، وتصحيح المفاهيم المغلوطة أو غير الصحيحة أو غير الواضحة لدى أطراف الحوار .

ومن الأهداف المهمة للحوار الثقافي بين الشرق والغرب ما يلي :

أولاً: تصحيح المفاهيم المغلوطة عند طرفي الحوار :

مرت العلاقات بين الشرق والغرب بتجارب سلبية كثيرة على مر التاريخ، جعلت كل طرف ينظر إلى الآخر نظرة نمطية مسبقة يمكن إيجازها على النحو التالي : رؤية الغرب للعرب والإسلام بأنهم في مرحلة ما قبل الحداثة ، وأن الدين الإسلامي دين قوة وعنف ، كما نظر العرب والمسلمون إلى الآخر الغربي بأنه المستعمر الذي يعمل من خلال دراسته الاستشراقية على استغلال واحتلال بلدانهم بشتى الأنواع العسكرية والثقافية^(١)، وأحسب أن من شأن هذه الأفكار المسبقة لكل من طرفي الحوار أن تقضي عليه بالفشل التام .

فلا بد من طرح هذه الأفكار المسبقة ، والتي يقف وراءها الماضي بكل تداعياته وآثاره السلبية على الحاضر ، وأن يكون هذا الطرح أو التجاوز للماضي نابغاً من حوار ثقافي مشترك ، وأن يكون هذا التجاوز من جانبنا العربي من خلال :

(١) د/ عادل ياسر، ود/ فاتن محمد: معوقات الحوار الثقافي والحضاري وآلياته، ص ٤٧١ .

- إعادة بناء الموروث القديم المكون الرئيس للثقافة الوطنية ، وذلك بفهمه فهماً صحيحاً لا لبس فيه ، وتجديد لغة الموروث ، وتغيير مستوى التحليل من المستوى الإلهي الغيبي إلى المستوى الإنساني الحسي .

- كسر حدة الانبهار بالغرب ، ومقاومة قوة جذبته وردة إلى حدوده الطبيعية، والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية .

- التخفيف من غلواء العولمة عن طريق قدرة «الأنا» على الإبداع، بالتفاعل مع ماضيها وحاضرها^(١).

وأما من الجانب المشترك للطرفين العربي والغربي فعليهم القيام بالآتي:

- أن يتجاوزوا الأشكال الثقافية التي أنتجها الغرب لنفسه وعن نفسه ، أو تلك التي أنتجها عن الصين أو العرب والإسلام وأفريقيا وغيرها.

- أن يتجاوزوا الأشكال الثقافية التي أنتجتها ثقافات الشرق ، ومن مواقع شرقية متنوعة عن ثقافات الشرق الأخرى ، وعن أوروبا وأمريكا والغرب عمومًا .

- أن يتجاوزوا الأشكال الثقافية للحوار التي ما كانت لتخاطب إلا

(١) شحادة مهدي: أزمة الحوار الثقافي العربي الغربي في ظل العولمة، شؤون الأوساط، لبنان، عدد:

١٤٨، ٢٠١٤م، ص ١٤ .

جمهوريةً أوروبياً بالدرجة الأولى أو جمهورياً عربياً وحده...^(١).

وتجاوز الماضي يحتم على الطرفين طرح محاور جديدة للحوار ، « وما دام الأمر كذلك فإن انتقاء موضوعات الحوار صار أمراً لا مناص عنه، فعلى سبيل المثال حينما يتعلق الأمر « بالحوار الإسلامي – المسيحي»، ينبغي عدم الدخول في مناقشة مسائل الاعتقاد ، على حساب قضايا عملية تعود معالجتها بالنفع والفائدة على الطرفين ، لا تهرباً ، ولكن لأن مثل هذه المناقشة لا فائدة فيها، وهي أقرب إلى الجدل العقيم واللجاج السقيم، ولذلك فمن هذه القضايا التي يجب التركيز عليها ، التعاون من أجل إقرار المبادئ والتعاليم الدينية المشتركة التي تحث على احترام الحياة الإنسانية ، وعلى مراعاة حرمة الإنسان ، وعلى السعي في الأرض من أجل الخير والأمن والسلام ، وعلى محاربة الإلحاد والرذيلة والفساد والظلم والطغيان ، وعلى دعوة الناس إلى قيم المحبة والتسامح والإخاء الإنساني ، وهذه مساحات شاسعة للعمل المشترك من أجل الإنسان ، وفي خدمة البشرية ، وإنقاذ العالم من الشرور والموبقات ، للإسلام فيها حضور نافذ وأثر قوى عبر كل العصور ، ولقد أحسن الشيخ / محمد عبده حين أطلق وصف «شريعة المسالمة» على مبادئ الإسلام وتعاليمه وأخلاقه التي تدور في هذا النطاق»^(٢).

(١) شحادة مهدي : أزمة الحوار الثقافي العربي الغربي في ظل العولمة، ص ٢٤ .

(٢) د/ عبد العزيز التويجيري : الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، ص ٤٥ .

وبهذا النموذج وغيره يقدم العرب للغرب أهدافاً جديدة - إن صح التعبير - للحوار، تعمل على إزالة الأحكام المسبقة والصور النمطية للحوار المطروحة من قبل .

وهذا يعني أن واحداً من أجل أهداف الحوار الثقافي الشرقي الغربي، أن يرجع كل طرف عن أحكامه المسبقة ذات الموروث التاريخي تجاه الطرف الآخر ، وأن ينظر إلى الآخر نظرة واقعية تفسح المجال للاعتراف بالآخر دون أي أفكار مسبقة للهيمنة أو للتشويه .

وهذا لا يعني أن تزول الاختلافات بين الشرق والغرب ، بل يعني بالضرورة أن يبدأ كل طرف في محاولة بناء جسور للتواصل والتعاون قائمة على الفهم الصحيح لأفكار ومعتقدات كل طرف .

ثانياً : إعلاء قيمة التنوع الثقافي :

يقول الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَأَخْتَلَفُ اللَّسَانِكُمْ وَالْوَالِدِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١)،
ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن
لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ أي: أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة، ليختبر
عباده فيما شرع لهم، ويشيهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو

(١) سورة الروم : ٢٢ .

عزموا عليه من ذلك كله (١).

فالتنوع والاختلاف آية من آيات الله عز وجل في خلقه، وسنة من سننه الكونية ، لا يمكن لأحد عاقل إنكارها أو تجاهلها إذا أراد إقامة حوار ثقافي مثمر ومرتز .

تعريف التنوع الثقافي :

يمكن تعريف التنوع الثقافي على أنه : وجود ثقافات مختلفة في العالم أو في مجتمع أو مؤسسة معينة ، أو هو مجموعة من الثقافات المتنوعة أو المختلفة ، بدلاً من الثقافات الأحادية ، ومن أمثلة ذلك: الثقافة العالمية ، أو الثقافات المتجانسة.

وعبارة التنوع الثقافي يمكن أن تشير أيضاً إلى وجود ثقافات مختلفة ، وكل منها يتبادل الاحترام لهذه الاختلافات .

وتستخدم في بعض الأحيان عبارة «التنوع الثقافي» بمعنى تنوع المجتمعات البشرية أو الثقافات في منطقة معينة أو في العالم ككل ، وكثيراً ما يقال : إن الثقافات المختلفة تكون سبباً للعولمة ، وهو أن يكون لها أثر سلبي على التنوع الثقافي في العالم (٢).

(١) أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري : تفسير ابن كثير، تحقيق/ سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ٣ / ١٣٠ .

(٢) ويكيبيديا الموسوعة الحرة .

ولا شك أن التنوع الثقافي حقيقة واقعة : فهناك مجموعة واسعة من الثقافات المتميزة التي يمكن التمييز بينها على أساس الملاحظة الإثنوغرافية^(١)، حتى وإن كان تحديد الخطوط التي ترسم حدود ثقافة معينة أصعب مما قد يبدو للوهلة الأولى^(٢).

الحوار في ظل العولمة والتنوع الثقافي :

لا يختلف أحد على أن العولمة ظاهرة قائمة و متمكنة عالمياً ، حيث إن العولمة هي إحدى الظواهر الكبرى التي تحكم عالمنا في الوقت الحاضر ، والتي لم ينج ولن ينجو أحد من آثارها التاريخية ، وما زال الجدل دائراً حول مزايا ومساوئ العولمة ونتائجها على الإنسانية جمعاء^(٣).

لذلك يمكن طرح فكرة الحوار على أنها بديلة لفكرة العولمة التي تعني هيمنة القوى العالمية الكبرى على العالم ، وبالفعل قد ازداد الحديث

(١) الإثنوغرافيا Ethnography ، هو أحد أفرع علم الإنسان Anthropology ، ويختص بدراسة أحوال الشعوب والأعراق البشرية ، والمظاهر المادية للنشاط الإنساني من عادات وتقاليد. انظر: المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، ص ٣، والمعجم الفلسفي د/ جميل صليبا، ١/٣٦ ، موقع ويكيبيديا، مادة / وصف والأعراق البشرية .

(٢) الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات ، تقرير اليونسكو العالمي ، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، ٢٠٠٩م.

(٣) أ. د/ منى أبو الفضل، د/ أميمة عبود، أ.د/ سليمان الخطيب : الحوار مع الغرب.. آلياته أهدافه دوافعه ، ص ٩٠.

عن (الحوار بين الثقافات) في السياق الراهن ، باعتباره أحد الأساليب المضادة لعولمة الليبرالية الجديدة ، ويعد الخطاب في إطار هذا السياق مجرد مشروع وليس حقيقة قائمة ، وتهيمن عليه من جهة أخرى القوى الدولية المهيمنة والمسيطرة ، ويشير هذا الحوار إلى منطلق الحضارة المختزلة في حضارة واحدة تحكم التنظيمات المعاصرة وتلقي بظلالها على أي حوار ما بين الثقافات.

ويرى البعض أن الحوار ما بين الحضارات هو مشروع لإعادة هيكلة العلاقات بين الأفراد وثقافتهم ، من أجل عولمة مبادئ الاستقلالية المشتركة بين الأفراد ، والسيادة المشتركة بين الثقافات كأنماط مختلفة للحياة، وتجسيد حرية الجميع ؛ مما جعل هذا الحوار مضاداً ومعارضاً لاستراتيجية العولمة الليبرالية الجديدة ، من خلال تقديم بديل للعالمية التي تأتي من كل أنحاء العالم ، ومن خلال الافتراض بأن مفهوم الجنس البشري أو الإنسان هو الحقيقة الوحيدة العالمية في ظل سوق عالمي تحول كل شيء فيه إلى لعبة أو سلعة استهلاكية قابلة للتداول وليس معنى حقيقياً ؛ بما في ذلك الحوار وحججه وبراهينه وموضوعاته وأطرافه^(١).

(١) أ.د/منى أبو الفضل، د/ أميمة عبود ، أ.د/ سليمان الخطيب: الحوار مع الغرب.. آلياته أهدافه

دوافعه ، ص ٨٨.

ولكن كيف يكون الحوار بديلا للعولمة ؟

يرى البعض أن شروط تحقيق هذا المشروع الحوارى - من أجل بناء مجتمع إنسانى عالمى أكثر عدالة - غير قائمة ، ويصبح هنا الحوار ليس حول أساليب العمل أو البحث الجماعى من أجل تحقيق الحياة والعيش الجيد للجميع ، بل حول المشاركة فى خلق وإيجاد هذه الشروط من أجل تحقيق «حوار متعدد الثقافات»، ومن أجل فهم الشروط التاريخية التى يمكن أن تشكل المعوقات الحالية لإنجاز هذا المشروع العالمى، ثم بعد ذلك كيفية إقامة مثل هذا الحوار الذى لا ينفصل عن مكونات سياقه ؛ وهى اللغة والتاريخ والثقافة ، وأيضا سياق الموقف الخاص بأي حوار^(١).

ولا شك أنه فى ظل العولمة التى تركزها هيمنة النظم الغربية بواسطة وسائل التكنولوجيا الحديثة قد يسود الاعتقاد بتراجع التنوع الثقافى وفرض هيمنة ثقافية معينة على العالم ، لذلك قبل مناقشة التنوع الثقافى باعتباره هدفاً للحوار العربى الغربى لا بد من مناقشة هذه القضية : هل العولمة تهدد هذا التنوع بالقضاء عليه ؟

إن الإجابة المستندة إلى المنطق والطبيعة الثقافية للبشر لا تؤيد هذه القضية أو الفرضية ، « فإن ربط العولمة بالتوحيد وبالتجانس الثقافى كثيرا ما

(١) الحوار مع الغرب.. آلياته أهدافه دوافعه، ص ٩٠ .

يعطي أكثر من حقه ؛ فالتبادل التجاري والثقافي ينطوي دائماً على عمليات للتكيف ، وهو في بيئة دولية يتزايد تعقدها والتفاعل بين أجزائها، لا يجري عادة من جانب واحد ، علاوة على ذلك فإن الجذور الثقافية عميقة متأصلة، وهي في كثير من الحالات تقع في أعماق لا تصلها التأثيرات الخارجية ، وبهذا المعنى ، فإن الطريقة الأفضل لرؤية العولمة هي باعتبارها عملية متعددة الأبعاد متعددة الاتجاهات ، تشمل تدفقات متسارعة متزايدة تشمل كل شيء عملياً - رؤوس الأموال ، والسلع ، والمعلومات ، والأفكار ، والمعتقدات ، والناس - على محاور تتغير وتتطور باستمرار^(١).

أهمية التنوع الثقافي:

يُطرح التأكيد على التنوع الثقافي بوصفه هدفاً من أهداف الحوار الثقافي بين الشرق والغرب لما له من أهمية قصوى لكل أطراف الحوار ، ومن أكثر النقاط أهمية ما يلي:

- يُعتبر التنوع الثقافي المحرك الرئيس للمجتمعات ، كما أنه أساس التنمية المستمرة لها وللأشخاص والدول ، مما ينعكس بشكلٍ إيجابي على المشهد العالمي ككل.
- يؤثر على مسيرة التعليم ، سواء على الصعيد المحلي أو الإقليمي

(١) انظر: تقرير اليونسكو العالمي: الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات ، ص ١٣.

أو العالمي ، ويُسهّم في تنوع التعليم وزيادة الخبرات والثقافات وتبادلها بين الشعوب ، وهذا يدفع عجلة التطور إلى الأمام.

- يُعطي مزيدًا من الخيارات للأشخاص ، ويزيد من تنوع الحياة.
- يُعطي للأفراد حرية التعبير عن أفكارهم ، ونشر ثقافتهم ، وتبادل آرائهم مع غيرهم من الأشخاص ، سواء الآراء السياسية أو الأدبية أو الاقتصادية أو الفنية أو الدينية أو غيرها.

- يُثرى من وجهات النظر، ويُشكل قاسمًا مشتركًا لتبادل كل ما هو مفيد، كما يُسهّم في تحقيق الديمقراطية بصورة راقية عبر وسائل التواصل.
- يزيد من تعاون العلماء والسياسيين ورجال الدولة وصانعي القرار في مختلف مناطق العالم.

- يزيد من الإبداع في مختلف مجالات الحياة.
غير أن التنوع الثقافي يحمل في طياته - إذا تم تجاهله - جوانب سلبية بالإضافة إلى جوانبه الإيجابية السابقة ، ومنها ما يلي :
- يُضفي شرعية على بعض الثقافات الغريبة التي قد تحمل أفكارًا شاذة لا تنتمي إلى مجتمعات معينة ، وهذا يُسبب انتشار الكثير من الأفكار الخاطئة.

- يؤثر على نسيج المجتمع ، وقد يُسبب تفككه ، بسبب تقبل فئة

منه ثقافة معينة وعدم تقبلها من قبل فئة أخرى ، وهذا يخلق تناقضًا كبيرًا داخل المجتمع .

- يقضي على الخصوصية الثقافية والحضارية للدول ، ويجعل ثقافتها مفتوحة ومتاحة لدخول وخروج ثقافات متعددة ، وهذا يُسبب ضياعًا في هوية المجتمعات وقد يقضي على التراث .

- قد يُسبب بعض الصراعات والخلافات بين الدول والأفراد ، وخصوصًا فيما يتعلق بالتنوع الثقافي السياسي والديني ، بسبب عدم تقبل الجميع لهذا النوع من التنوع .

ولذلك يجب التعامل مع هذه السلبيات وأخذها في الاعتبار عند طرح قضية إعلاء التنوع وما يبني عليه من تعارف وتعاون وتكامل ، بوصفه هدفًا للحوار الثقافي .

التنوع الثقافي بين الواقع والمأمول :

تعي المنظمات الدولية ضرورة المحافظة على التنوع الثقافي العالمي ، وذلك من خلال عدة جهود ، من أهمها : تبني مفهوم التنوع الثقافي :
لقد كان من المرجعيات الأساسية التي تستند إليها التوجهات العربية للحوار الثقافي مع الغرب مفهوم التنوع الثقافي ، الذي توّصله عدد من الإعلانات الدولية والإقليمية ، وأهمها إعلان اليونسكو حول التنوع الثقافي

عام ٢٠٠١ م ، والإعلان الإسلامي الثقافي المعروف بإعلان الجزائر عام ٢٠٠٤ م ، ويحيل هذا المفهوم من الناحية الواقعية إلى ظاهرة اختفاء عدد من الثقافات الإنسانية وانقراضها ، وتراجع عدد آخر أمام الثقافة الغربية ، وهو ما يؤدي في النهاية إلى تفكير التجربة الإنسانية وانحطاطها، ومن ثم فإن عناية الأمم المتحدة بالتنوع الثقافي وحرصها على استمرار جميع الثقافات العالمية في نهاية المطاف، لا يختلف عن دوافع وأبعاد (الحركة البيئية)، أو لربما كان مظهرًا من مظاهرها ، وفي مقدمة هذه الدوافع الحفاظ على التراث الإنساني وأشكال التعبير الثقافي المختلفة ، ذلك أن مفهوم التنوع الثقافي يحاكي بشكل كبير مفهوم التنوع البيئي^(١).

لكن هل الثقافة العربية من الثقافات التي يخشى انقراضها ؟

إن انطلاق العرب من هذه المرجعية نحو الحوار الثقافي مع الغرب فيه قدر كبير من الاختلال ، ويتجلى هذا بوضوح في إعلان الجزائر من أجل التنوع الثقافي ، وعدد من البيانات والتصريحات الأخرى ، ومن أقوى مظاهر الاختلال في ممارسة الحوار مع الغرب بناءً على هذا الأساس: اختزال قضية الثقافة العربية في مجرد "ثقافة إنسانية" يخشى عليها من الاندثار والانقراض ، في حين أن الحاجة ماسة لاستمرارها في تأسيس المشهد الثقافي العالمي ، وبالتالي

(١) د/إمحمد جبرون : تجربة الحوار الثقافي مع الغرب قراءة تقويمية ونموذج مقترح ، ص ٥٢ .

تصبح معركة حقوقية يناضل أهلها من أجل حقها في الحضور في اللحظة الراهنة ، والحوار في هذا السياق هو وسيلة بديلة عن الصراع الذي يهدد الثقافات الضعيفة بالشطب والإلغاء^(١).

وعلى هذا لا بد من طرح فكرة التنوع الثقافي في الحوار العربي الغربي من منطلق أن الثقافة العربية ثقافة أصيلة في الموروث البشري ، لا يخشى عليها من الاندثار ، ولا يمكن الهيمنة عليها من قبل الغرب .

إن إعلاء التنوع الثقافي بوصفه هدفاً للحوار الثقافي مع الغرب ينطلق من أن : العرب لغة وثقافة ودينًا وتاريخًا ... في حالة اشتباك شبه يومي مع الغرب بأبعاده المختلفة اللغوية والثقافية ... ، عبر وسائل الإعلام وفي نقاط الاحتكاك المباشر ، ويجنح هذا الاشتباك في كثير من الأحيان إلى استعمال أساليب غير حوارية تناقض قيم التسامح والتعايش بين الطرفين ، ومن ثم هناك حاجة لكل من العرب والغرب للحوار لتسوية العلاقات بينهما، وتحقيق درجات عالية من التفاهم^(٢) .

والتأكيد على التنوع الثقافي وحق كل طرف في المحافظة على ثقافته من شأنه أن يكون خطوة في وقف محاولات الغرب الهيمنة والسيطرة على الشعوب والحضارات الأخرى ، وسعيه لتسييد نمط حضاري واحد ، فقيام

(١) د/إمحمد جبرون : تجربة الحوار الثقافي مع الغرب ، ص ٥٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ٥٣ .

الغرب بالحوار مع الثقافات الأخرى يعني ضمناً اعتراف الغرب بوجود هذه الثقافات ، فضلاً عن أن الحوار هو حالة اتساع للمعنى ، وتكرار مختلف لتفسير نفس الظاهرة ، أي تأسيس لحق الاختلاف .

وبذلك يمكن أن يشهد العالم درجة أكبر من التسامح بين الثقافات ، وهو تسامح يقوم على أساس المعرفة والفهم لتلك الثقافات ومبررات وجودها، ومعاني رموزها ، والسلوكيات المرتبطة بها ، والقيم التي تكمن وراءها ، وهو الأمر الذي سيجعل التسامح قيمة من قيم المستقبل ، رغم اختلاف النظرة والفكرة والسلوك والمعتقد ، وهذا من المؤشرات المهمة على أنّ قيم المستقبل ستكون قيماً إيجابية فاعلة أكثر منها مواقف سلبية انفعالية، حيث سيجري الاهتمام بالمستقبل والنظر إلى الأمام ، واحترام قوى التقدم والنجاح والإنجاز أكثر من النظر إلى الوراء وتمجيد الماضي والارتباط به ، أو الاستكانة والرضا بالأمر الواقع ، ومحاولة إيجاد مبررات لقبوله ، وإن كان هذا لا يعني التنكر للتراث الثقافي ، وإنما يعني مراجعته وإحياءه من خلال إبراز الجوانب الإيجابية فيه التي تضيف إلى الحضارة الإنسانية.

ثالثاً : تنمية العلاقات القائمة على التعاون بين الحضارات :

إن التقدم البشري في مختلف المراحل والمجالات ليس إلا حصيلة الإبداع الفكري والتعاون والاحتكاك بين المجتمعات ، والدليل على ذلك

أنه « لا توجد حضارة بدأت من الصفر ، بحيث يمكن أن تعتبر البداية الأولى والأكمل للحضارات التي تلتها في الظهور ، كما يدعي بعض مؤرخي الفكر الإنساني ، حتى اعتبروا الفلسفة اليونانية نقطة انطلاق الفكر الإنساني، ثم اضطر هؤلاء المؤرخون ومن لحق بهم إلى الاعتراف بأسبقية وفضل الحضارات المصرية القديمة على ما تلاها من حضارات ، وأولها الحضارة اليونانية»^(١).

وفي التفاعل بين الثقافات هناك ما هو مشترك إنساني عام تأخذه الحضارات من بعضها ، وتسهم فيه كل حضارة بالعطاء المتجدد الذي يزيده قوة وفائدة ، وهناك أيضًا ما هو خصوصية حضارية أو ثقافية لا تقبله الحضارة الآخذة أو الناقلة إذا أرادت الحفاظ على خصوصيتها وسماتها المنفردة بها ، ومن أمثلة ذلك الاحتفاظ بالطابع الثقافي ، وهو ما فعلته أوروبا، فإن « أوروبا الناهضة حين ترجمت أعمال الفيلسوف المسلم ابن رشد أخذت من هذه الأعمال ما يتصل بالفلسفة اليونانية ورفضت أخذ ما هو خصوصية حضارية إسلامية...»^(٢).

(١) د/ علي بن إبراهيم النملة، مجالات التأثير والتأثير بين الثقافات المتأقفة بين شرق وغرب، ص ٢١.

(٢) أ. د/ جعفر عبد السلام ، و أ. د/ أحمد السايح : المسلمون والآخر أسس الحوار مع الآخر،

سلسلة فكر المواجهة ، ص ١٨٥ .

ولعل من أهم ثمار التفاعل التنموي بوصفه هدفاً للحوار تحقيق التعاون بين الشعوب ، ونحن العرب لدينا من الموروث الثقافي ما يمكن تقديمه باعتباره دليلاً على حرصنا الراسخ على مبدأ التعاون الدولي ، والذي يمكن طرحه للحوار من خلال سيرة المصطفى ﷺ حين نفذ مبدأ التعاون الدولي عندما جاء إلى المدينة فعقد مع اليهود حلفاً^(١)، أساسه التعاون على البر

(١) قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

قال ابن هشام: المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال ، قال الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة ... وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

وحماية الفضيلة ومنع الأذى.

ومن خلال الاتفاق على مبدأ التعاون الدولي تظهر موضوعات جديدة بالحوار، مثل : « الحفاظ على البيئة ، ومكافحة البطالة ، والفقر، والجهل، والفتن الطائفية ، وحروب الإبادة والتطهير العرقي ، وذاك الوافد الجديد باسم العولمة ، ونحو ذلك من الموضوعات التي تعتبر هماً مشتركاً بين الجميع، والواقع يفرض على المفكرين في مصير الإنسانية الاتفاق على الحد الأدنى من عناصر التوافق الإنساني يكون أشبه بالميثاق الحضاري»^(١).
ولذلك يستمد البعض أهداف الحوار الثقافي من الإعلان لمبادئ التعاون الثقافي الدولي ، ومنها :

١ - نشر المعارف ، وحفز المواهب ، وإغناء الثقافات.

٢ - تنمية العلاقات السلمية والصداقة بين الشعوب ، والوصول

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيدبهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافرًا على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم... السيرة النبوية لابن هشام، ١/٥٠٢.

(١) د/ سعد بن علي بن محمد الشهراني: أهداف الحوار مع الغرب ومحاذيره، المؤتمر العام الإسلامي، العالم الإسلامي والغرب.. الحواجز والجسور، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٢٧.

إلى جعل كل منها أفضل فهماً لطرائق حياة الشعوب الأخرى.

٣ - تمكين كل إنسان من اكتساب المعرفة، والمشاركة في التقدم العلمي الذي يحرز في جميع أنحاء العالم، والانتفاع بثماره، والإسهام من جانبه في إثراء الحياة الثقافية.

٤ - تحسين ظروف الحياة الروحية، والوجود المادي للإنسان في جميع أرجاء العالم^(١).

ويمكن إضافة هدف آخر للحوار الثقافي ينتج عن الهدف الرئيس (التفاعل التأموي بين الثقافات)، وهو: « استكشاف التاريخ الحضاري لبناء آفاق تعاون متعددة المجالات في الحاضر والمستقبل، حتى تسود العالم الحرية والعدل »^(٢).

والحوار بين طرفين مختلفين يجعلها متساويين، إذا أُحسنت إدارة الحوار، ومن ثم ينطوي الحوار على فرصة لأصحاب الحضارات التي تبدو متراجعة (كالشرق)، لمساواة الغرب في عرض الرؤى والتصورات، وكسر استعلاء النموذج الغربي في إدراكه وتعاملاته مع الشعوب خارج منظومته المعرفية.

(١) د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري: الحوار الحضاري والثقافي.. أهدافه ومجالاته، ص ١٥.

(٢) د/ محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٤٩، وانظر أيضًا: أ. د/ منى أبو الفضل، د/ أميمة عبود، أ. د/ سيلمان

الخطيب، الحوار مع الغرب.. آلياته وأهدافه ودوافعه، ص ٦٩.

رابعاً : التعايش بديلاً للصراع :

لقد جعل القرآن الكريم الدعوة إلى التعاون والتعايش بين المجتمعات أساساً من أسس التواصل والتعارف بين الشعوب ، على الرغم من وجود الاختلاف الذي هو حكمة الله في وجود الخلق، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١﴾ ، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (٢).

وتأتي صيغة التفاعل في كلمة (تعارفوا) لتدل على المشاركة بين طرفين أو أكثر من طرفين، ليكون كل طرف من الأطراف فاعلاً ومفعولاً به في الوقت نفسه ؛ وهذه المشاركة التي يتبعها تبادل المعروف بين جميع الأطراف هي المقصد الأخلاقي العظيم الذي تحصل به الألفة ، والمودة ، والتآلف ، والانفتاح على الآخر ؛ بما يحقق التكامل ، والقوة ، وكل ما يؤصل للمنفعة الدينية والدنيوية لكافة الشعوب ، وخاصة إن تمت في صورة سوية خالية من أي أهداف غير أخلاقية.

إن الحوار الحضاري هو أبرز ما ينتجه التعارف بين الشعوب من

(١) سورة هود: ١١٨-١١٩.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

خلال التأثير المتبادل ، فنجد أن "أوروبا قد شيّدت حضارتها الحديثة وقامت بتطويرها وعملت على تنمية ذاتها من خلال التفاعل الحضاري، وقد استطاعت أوروبا في العصر الوسيط أن تتحرر من الفكر الاعتقادي الضيق عن طريق تلقيها مؤثرات ودوافع علمية وحضارية مهمة من الحضارة الإسلامية التي كانت حينذاك تعيش عصر ازدهار حضاري لا نظير له في أي مكان في العالم ، وبذلك أصبحت أوروبا في وضع يؤهلها لتغيير مسارها نحو التجديد الذي تم في عصر النهضة ، واستمر فيما بعد في عصر التنوير ، وهناك فلاسفة وأدباء أوروبيون مرموقون تأثروا - كما أثبتت ذلك البحوث العلمية- بالفلسفة والأدب العربيين ، إما بطريق مباشر أو غير مباشر"^(١).

وكما تأثرت أوروبا بالحضارة العربية في عصور سابقة ، فقد تأثر العرب أيضًا بالحضارة الأوروبية في العصر الحديث ؛ فنجد أن «العالم الإسلامي يأخذ - منذ بعض الوقت- الكثير من الإنجازات الأوروبية العلمية والتكنولوجية»^(٢)، وعلى الرغم من هذا التأثير إلا أن المسلمين في الوقت ذاته «يسعون لإحياء حضارتهم وذلك للحفاظ على ذاتيتهم من

(١) أ.د/ محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار، ص ٥٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٠.

ناحية، ولأنها توفر لهم التكيف المطلوب مع متطلبات العصر من ناحية ثانية»^(١).

وتُسهم الأهداف المشتركة بين الحضارات في تدعيم حوار مثمر وناجح، وتكمن تلك الأهداف المشتركة في بعض القيم الأخلاقية التي يمكن أن تكون سبيلاً لإبراز قيمة التعايش والتعاون، مع المحافظة على الهوية الحضارية لكل طرف، عربياً كان أو غربياً، دون طمس أو تغيير في المعتقدات الدينية أو الثقافية، أو أي معتقدات تُظهر طرفاً في صورة غير صورته المعهودة، الأمر الذي قد يثير النزاعات والصراع، فيفقد الحوار غايته السامية، ويتحول لصراع وعداوات.

ومن صور التعايش القائمة على هذه الأهداف المشتركة، ما يلي:

١ - الحرص على التضامن العالمي:

لقد صوّر لنا رسول الله ﷺ خير ما يُمثل حال المجتمع الإنساني بكافة طوائفه في قوله: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا

(١) أ. د/ محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار، ص ٥٠-٥١.

جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجُوا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»^(١).

ف «الإنسانية اليوم تمثل جماعة استقرت على ظهر سفينة كونية تبحر عبر الفضاء الكوني ، ويتحتم عليها أن تتجنب حدوث أي خلل فيها بأي ثمن». وقد استخدم النبي ﷺ في الحديث مشهد السفينة الذي نستعيده هنا للموقف الراهن لعالم اليوم لكي نؤكد من خلاله على ضرورة التضامن العالمي بين الناس.

وقد كان النبي ﷺ يرى أن القسم المتميز من مجتمع السفينة إذا لم يهتم بصورة كافية بالقسم الآخر المجرد من الامتيازات فإن هذا القسم الأخير سوف يتسبب إن عاجلاً أو آجلاً - بقصد أو بغير قصد- في إعطاب السفينة، ومن ثم في غرق الجميع^(٢)؛ فالتشتت والتفرق والنزاع وهي مفردات مضادة للوحدة والتضامن والتعاون باب من أبواب الفشل، وهي أمور تفتح باب الفتنة على مصراعيه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فِتْقَشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(٣).

وعلى الرغم من ضرورة التضامن العالمي إلا أن ذلك التضامن لا يمكن أن يتم إلا في إطار حوار حضاري يوائم الثقافات المختلفة؛ فيقترب

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، حديث رقم: ٢٤٩٣، ٣/١٣٩.

(٢) أ.د/ محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار، ص ٣٩.

(٣) سورة الأنفال: ٤٦.

- قدر المستطاع- من مواطن الاتفاق ، ويبعد- قدر الإمكان- عن مواطن الاختلاف ؛ ف «المدنية التكنولوجية التي تسود العالم اليوم قد جلبت للعالم كله شبكة من العلاقات في شئون الاقتصاد والاتصالات والمعلومات ، ولكن هذه العولمة قد أدت من ناحية أخرى إلى مشكلات خطيرة في مجالات البيئة والنظم الاجتماعية والثقافية والهوية ، وهذه المشكلات - وغيرها كثير- من شأنها أن تهدد أمن واستقرار البشرية ، بل تهدد كذلك وجودها على هذا الكوكب الأرضي ، ومن أجل ذلك يتحتم أن تعالج هذه القضايا في إطار حوار ديني حضاري ، ومثل هذا الحوار يستطيع أن يبرز القواسم المشتركة لكل القيم المهمة ، ويستطيع فوق ذلك أن يعمل على التوصل إلى كيفية تحقيق هذه القيم في سياق كل حضارة على حدة»^(١).

٢- احترام التعددية الدينية :

ويقصد بالتعددية وجود العديد من الديانات والاعتقادات والثقافات على مستوى البشرية جمعاء ، سواء كانوا يعيشون في بلد واحد أو في بلاد مختلفة، ويكون احترام هذه التعددية بعدم نفي الآخر، أو التقليل من شأنه ، وإقرار مبدأ المساواة ، وهو ما فعله رسول الله ﷺ في مجتمع المدينة عندما هاجر إليها ﷺ ؛ حيث كان بها « ثلاثة أصناف ، يختلف أحوال كل واحد منها بالنسبة للآخر اختلافاً واضحاً ... وهذه الأصناف الثلاثة هي :

(١) أ.د/ محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار، ص ٤٠-٤١.

أصحابه الصفوة الكرام البررة (رضي الله عنهم) ، والمشركون الذين لم يؤمنوا بعد ، وهم من صميم قبائل المدينة ، واليهود»^(١).

وقام النبي ﷺ بكتابة أول كتابٍ بين هذه الأصناف الثلاثة ، أسس فيه لمبدأ الحرية الدينية ، وقبول الآخر ، والمساواة في الحقوق والواجبات ، دون ظلم أو تمييز^(٢) ، وقد سار الخلفاء الراشدون على المنوال نفسه ؛ فقد «ضمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) للسكان المسيحيين في القدس [أهل إيلياء] أمنهم ، حيث أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبيها ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم» ؛ فلغير المسلمين في كل البلاد تحت الحكم الإسلامي نفس وضع المسلمين ، أي عليهم نفس الواجبات ولهم نفس الحقوق^(٣).

وكذلك كانت الأندلس التي ضمت « عناصر اجتماعية تنحدر من إثنيات وديانات مختلفة ، وفي مقدمة هؤلاء النصراني واليهود ، ورغم التعدد الديني والاختلاف العرقي بين هذه العناصر الاجتماعية ، فقد استطاعت

(١) المباركفوري: الرحيق المختوم، ص ١٦٠.

(٢) انظر: نص الوثيقة في هامش ص ٧٤ من هذا البحث .

(٣) أ.د/ محمود حمدي زقزوق : الإسلام وقضايا الحوار، ص ١٥٩ .

الأندلس أن تؤسس نموذجًا متقدمًا وراقيًا في التعايش والتسامح عزَّ نظيره لا زال ملهمًا للكثيرين اليوم أثناء حديثهم عن العلاقة بالآخر، والتنظير للتسامح والتعايش ، فلقد وجد المسلمون الأندلس بعد فتحها أرضًا عامرة وآهلة بالسكان ، يدين أغلب مواطنيها بدين المسيحية واليهودية، ورغم تحول بعضهم إلى الإسلام بعد الفتح، فإن طائفة عريضة منهم بقيت على دينها وخاصة في العهود الأولى ، وشكل المعاهدون - اليهود والنصارى باصطلاح المؤرخين العرب- عنصرًا أساسيًا في أغلب الحواضر الأندلسية ، كغرناطة وقرطبة وطليلة وإشبيلية وسرقسطة ، فعلى سبيل المثال كانت توصف غرناطة بـ «غرناطة اليهود» لكثرتهم بها، وكانوا يتمتعون - حسب رواية المؤرخ العربي الكبير الأستاذ / عبد الله عنان- في «ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلي ، ويطبقون شرائعهم القوطية القديمة ، ولهم قضاؤهم الخاص».

ولم يحدث في كل الأحوال أن اضطهدوا أو لوحقوا لأسباب دينية، بل على العكس مارسوا حريتهم الدينية بسهولة ويسر ، بسبب تفهم الفاتحين حقوقهم الدينية ، فيسروا لهم سبل ممارستها ، بحيث احتفظوا بكنائسهم ودور العبادة ، وفي بعض الحالات بجوار مساجد المسلمين ، واستمر هذا الأمر إلى نهاية الحكم الإسلامي بالأندلس»^(١).

(١) د/ محمد جبرون ، تجربة الحوار الثقافي مع الغرب ، ص ١٢٠-١٢٢ .

واستمر هذا التعايش الفكري الذي كان من أبرز ظواهره «قيام حركة واسعة من المناظرات والجدل بين المسلمين وأهل الذمة من أصحاب الأديان المختلفة ، في عقائدهم والعقيدة الإسلامية ، وهذا المسلك يؤكد مدى الحرية التي تمتع بها هؤلاء في ظل الحضارة الإسلامية، بل إنهم تمتعوا بحرية الدفاع عن عقائدهم ومذاهبهم»^(١).

٣- تلاقح الثقافات:

والمقصود بتلاقح الثقافات التأثر بالثقافات المختلفة ، مع طبع الثقافة بالطابع الذي يتناسب مع ثقافة المتأثر ؛ وقد ظهر هذا التأثر عند العرب ؛ إذ «تلقى المسلمون العطاء الثقافي والفكري للحضارات البشرية من الهند والفرس واليونان عن طريق الترجمة ، فأخرجوا ما استقبلوه في صورة جديدة لها طابعها الخاص ، ومميزاتها التي تتفق مع بيئتهم العقلية ومفاهيمهم الدينية ، فقاموا بالتجارب ، وطفرت العلوم على أيديهم طفرات قوية»^(٢).

ومع ذلك لا يعني الحفاظ على الطابع الخاص عزلة عن الثقافات الأخرى ، «ولا يتنافى مع التعايش بين الثقافات وتبادل المنافع بينها وإظهار

(١) أ.د. منى أبو الفضل ، د/ أميمة عبود ، أ.د/ سليمان الخطيب: الحوار مع الغرب ..، ص ١٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧١.

مكوناتها الإنسانية التي قامت على تكريم بني آدم ، مهما بشر بعض المثقفين المتعجلين بسيطرة النظرة العولمية على هذا الكوكب»^(١).

٤- التدافع الحضاري:

ومن سنن الله سبحانه وتعالى في هذا الكون ، أن جعل سنة التدافع بين الخلق سبباً من أسباب البقاء ، وهي سنة عظيمة أوردها الله سبحانه وتعالى في كتابه وجعلها شرطاً لصلاح الأرض؛ إذ لا يكون صلاح في الأرض إذا امتنع الناس عن التدافع فيما بينهم، وتقويم بعضهم بعضاً، يقول تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

يقول جوستاف لوبون في "حضارة العرب": «إن حضارة أوروبا مدينة للعرب بحضارتهم ، فالعرب هم الذين فتحوا لها ما كانت تجهله من المعارف الفلسفية والعلمية والأدبية ، فكانوا دائنين للغرب وأئمة لهم في ستة قرون ، وعن طريقهم اهتدى الغرب إلى تراث الإغريق ، وكشف ماضيه»^(٣).

(١) مجالات التأثير والتأثير بين الثقافات المتناقفة بين الشرق والغرب، ص ٣٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٥١.

(٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هندواوى، ص ٥٨٦.

إن التفاعل الحضاري يستند في مفهوم الفكر الإسلامي إلى مبدأ التمدد الحضاري ، لا الصراع الحضاري، وهو المبدأ القرآني المحض ، الذي نجد له أصلاً ، ونقف على معنى آخر له في قوله تعالى: ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾^(١)، فالتفاعل إذاً في المنظور الإسلامي هو عملية تدافع لا تنازع ، وتجاوز لا تناحر ، والتفاعل حياة ، والتصارع فناء^(٢).

٥- التسامح:

يعد التسامح من أهم المقاصد الأخلاقية التي تفضي إلى التعايش السلمي بين الشعوب ؛ إذ «هو القدرة الذاتية على استيعاب الاختلاف وهضمه والتفاعل معه»^(٣)، وكان للقرآن الكريم سبقاً في الدعوة إلى هذا المبدأ العظيم، بل إلى ما يتجاوز ذلك من المصاهرة واختلاط الدماء، فيقول تعالى: ﴿ لَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^(٤)، وفي

(١) سورة فصلت : ٣٤.

(٢) د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري الحوار من أجل التعايش، ص ٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٤.

(٤) سورة الممتحنة : ٨.

ذلك نفي للعصبية والعنصرية ، ويقول جوستاف لوبون: «استطاع العرب أن يحولوا إسبانيا مادياً وثقافياً في بضعة قرون وأن يجعلوها على رأس جميع الممالك الأوروبية ، ولم يقتصر تحويل العرب لإسبانيا على هذين الأمرين، بل أثروا في أخلاق الناس أيضاً، فهم الذين علّموا الشعوب الأخرى ، وإن شئت فقل: حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أئمن صفات الإنسان، وبلغ حلم عرب إسبانيا نحو الأهلين المغلوبين مبلغاً ، كانوا يسمحون لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية ، وتعد كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها أيام الحكم العربي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم، وأسلم كثيرٌ من النصارى ، ولكنهم لم يُسلموا طمعاً في كبير شيء ، وهم الذين استعربوا فغدّوا هم واليهود مساوين للمسلمين ، قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة ، وكانت إسبانيا العربية بلد أوروبا الوحيد الذي تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها، فصار عددهم فيها كثيراً جدّاً»^(١).

ومن صور تسامح العرب مع غير المسلمين في بلادهم حتى الآن أن من «الأسس الثابتة ، والمبادئ الرحيمة في التعايش السلمي والتعاون الودّي ظهرت قوانين الأحوال الشخصية لغير المسلمين على اختلاف مللهم

(١) جوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٢٩٠-٢٩١.

وعقائدهم في البلاد الإسلامية ، لتكفل لهم الحق في المعيشة في الأسرة وفق ما يرتضون من قواعد ، وتطبق عليهم الأحكام التي تنظمها شرائعهم ، ومن هنا يتبين أن الإسلام كان أسبق من الدول المعاصرة قاطبة في الاهتمام بحقوق الإنسان»^(١).

وكذلك من صور التسامح «ما ترجمه مسيو دوزى من قصة أحد علماء الكلام العرب الذي كان يحضر ببغداد دروساً كثيرة في الفلسفة ، يشترك فيها أناس من اليهود والزنادقة والمجوس والمسلمين والنصارى... إلخ ، فيستمع إلى كل واحد منهم باحترام عظيم، ولا يُطلب منه إلا أن يستند إلى الأدلة الصادرة عن العقل ، لا إلى الأدلة المأخوذة من أي كتاب ديني كان ، فتسامح مثل هذا هو مما لم تصل إليه أوروبا بعد ما قامت به في أكثر من ألف سنة من الحروب الطاحنة ، وما عانته من الأحقاد المتأصلة ، وما مُنيت به من المذابح الدامية»^(٢).

خامساً: حفظ الكرامة الإنسانية:

لا شك أن من أهم أهداف الحوار وثماره حفظ الكرامة الإنسانية ، و«ستلمس الكرامة الإنسانية في ثلاث وثائق دولية تعدّ في عصرنا الراهن،

(١) د/ عبد العزيز بن عثمان التويجى، الحوار من أجل التعايش، مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٢) جوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٥٩٠ - ٥٩١.

الأساس الراسخ في الشرعية الدولية لحقوق الإنسان ، وهي:

١- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

٢- العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

٣- العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية.

إن أول ما يلاحظه الباحث في المواثيق الثلاثة أنها تتفق في الديباجة على مفردات موحدة ، وهي الإقرار بما لجميع أعضاء الأسرة البشرية من كرامة أصيلة فيهم ، ففي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تطالعنا الديباجة بما يلي: «لما كان الإقرار بما لجميع الأسرة البشرية من كرامة أصيلة فيهم ، ومن حقوق متساوية وثابتة ، يشكل أساس الحرية والعدل والسلام في العالم».

وفي العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تبدأ الديباجة بهذه الصيغة : إن الدول الأطراف في هذا العهد إذ ترى أن الإقرار بما لجميع أعضاء الأسرة البشرية من كرامة أصيلة فيهم ، ومن حقوق متساوية وثابتة ، يشكل وفقاً للمبادئ المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة أساس الحرية والعدل والسلام في العالم.

كذلك تبدأ ديباجة العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية بالصيغة ذاتها ، وهي: « إن الدول الأطراف في هذا العهد إذ ترى أن الإقرار بما لجميع أعضاء الأسرة البشرية من كرامة أصيلة فيهم ، ومن حقوق

متساوية وثابتة ، يشكل وفقاً للمبادئ المعلنة في الأمم المتحدة أساس الحرية والعدل والسلام في العالم».

وهكذا نرى أن الكرامة الإنسانية في مفهوم الشرعية الدولية - استناداً إلى الصيغة الأنفة الذكر - هي كرامة أصيلة في أعضاء الأسرة البشرية، وعبارة (الأسرة البشرية) هنا ، تماثل من حيث الدلالة والمعنى التعبير القرآني (بني آدم)^(١) ، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٢).

* * *

(١) انظر: د/عبد العزيز بن عثمان التويجري ، الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٦هـ -

٢٠١٥م ، ص ١٧ - ١٨ .

(٢) سورة الإسراء : ٧٠ .

معوقات الحوار الثقافي بين الشرق والغرب

إن الصراع بين الشرق والغرب والحروب الطويلة على مرّ العصور قد شكلت صورة سلبية واضحة بينهما ، لذلك فإنّ الذاكرة تستدعي حالة الخوف ممزوجة بالترقب والتوجس من الآخر ، هذا الخوف لم يستطع الطرفان التخلص منه ؛ لأنه متوغل في الذاكرة راسخ فيها رسوخ الجبال، تتناقله الأجيال في صورة تعكس الخوف والقلق من الآخر.

فالشرق العربي قد واجه كثيرًا من التحديات والقلقل على مرّ العصور كان الغرب مصدرها ، بداية من الحروب الصليبية ، وصولًا إلى الاحتلال الغربي لدول المشرق العربي ، ومن ثم يبقى التحدي سافرًا ، وتبقى الذاكرة مستعدة لاستدعائه في أي لحظة من لحظات الحوار.

أولاً : كيف يرى الغرب الشرق:

لقد كان الشرق يمثل بالنسبة للغرب منبع الخيرات ، وأرض الثروات، فأرضه تحتاج إلى استثمار بل قل استغلال ، ولا يوجد مستثمر سواه، فهو الذي يمتلك العقل والعلم ، أما الشرق فيعيش في ظلمات الجهل والتخلف ، ولا بد من مساعد يعينه على معرفة أهمية هذا المكان الذي يعيش فيه ، وتلك الثروات التي يمتلكها ، وهذه المساعدة لا بد وأن تكون بمقابل، هذا المقابل هو نهب ثروات هذه البلاد واستغلال أهلها ، ولن يحدث هذا إلا عن طريق استثمار الشرق بل قل استغلال الشرق.

إن الغرب ينظر للمجتمع الشرقي على أنه مجتمع يُغلبُّه العاطفة على العقل ، ومن ثم فهو مجتمع ينقصه الكثير ، فلن يستطيع أن يُدير نفسه بنفسه ، إذن فصورة الشرقي في ذهن الغربي تحمل هذه الرؤى ، والتي ملخصها:

- أن الشرق يُغلبُّ الإيمان على العقل ، وبالتالي يغلب الدين على العلم، أضاع عقله أمام سطوة النصوص الدينية ، لذلك فهو يعيش حالة متأصلة من حالات التخلف والضعف.

- سوء الفهم لقضية القضاء والقدر، الأمر الذي جعل العقل الشرقي عند البعض عقلاً خاملاً اتكالياً يقبل بكل ما يحدث له طبقاً لهذه الفكرة ، فعَدَّ السحر والشعوذة مكونين أساسيين من مكونات العقل الشرقي.

- العقل الشرقي ليس لديه القدرة على استثمار الأرض والخيرات نتيجة لهذه العقلية الخرافية.

- العقل الشرقي عقل لغوي ، أي ذو ثقافة كلامية شفوية تعتمد المجاز والاستعارة والكناية ، أكثر من استخدامه المنطق والبرهان ، أو مطابقة الاسم للمسمى^(١).

(١) د/ علي المرهج: العلاقة بين الشرق والغرب.. حوار أم صراع .

ونستطيع أن نوجز صفات الإنسان العربي في عموم الذهنية الغربية في عدة خصائص، حيث إنها غالباً ترى - أو هكذا يروجون - أن الإنسان العربي لا بد أن يكون :

١- متوحشاً .

٢- لا يحب الناس ولا يحبونه .

٣- عنيفاً بطبعه .

٤- غير متحضر .

هذه الصفات أو المصطلحات تتراءى للقارئ البسيط وكأنها مفردات جديدة توصف بها الشعوب غير المتقدمة في « العالم الثالث»، من جانب العالم « المتحضر»، بيد أن النظرة السلبية لم تكن هي كل معطيات المشهد، فهناك تصور غربي يتميز بالحيادية، أو قل بالإيجابية.

لقد كانت النظرة الإيجابية الغربية مرتكزها الرئيس الفلسفة والأدب، فمثلاً لم يعرف الغرب الحديث الفلسفة اليونانية القديمة، وخاصة فلسفة أفلاطون وأرسطو، أقول: لم يعرفوها معرفة حقّة إلا من خلال الفلاسفة العرب والمسلمين وترجماتهم، فعلى سبيل المثال سافر "جيرار دي كيرمونا" (١١١٤ - ١١٨٤) إلى طليطلة بحثاً عن تراجم عربية للنصوص اليونانية التي يرغب في ترجمتها، يقول صاحب قصة الحضارة: «لقد كان ابن سينا عظيم الأثر فيمن جاء بعده من الفلاسفة والعلماء، وقد تعدى هذا الأثر

بلاد المشرق إلى الأندلس ، حيث شكّل فلسفة ابن رشد وابن ميمون ، وإلى العالم المسيحي اللاتيني وفلاسفته المدرسين ؛ وإنا لندهش من كثرة ما نجده من آراء ابن سينا في فلسفة ألبرتس مجنس ، وتومس أكوناس ، ويسميه روجر بيكن : « أكبر عميد للفلسفة بعد أرسطو »^(١).

على أن المقام يطول بنا ألف فرسخ إذا ذهبنا نعدد تأثير الحضارة العربية الإسلامية في الغرب ، واعتراف كثير من باحثي الغرب وعلمائهم بذلك التأثير ، يقول "ديورانت" : « أما العالم الإسلامي فقد كان له في العالم المسيحي أثر بالغ مختلف الأنواع ، لقد تلقت أوروبا من بلاد الإسلام الطعام ، والشراب ، والعقاقير ، والأدوية ، والأسلحة ، وشارات الدروع ونقوشها ، والروائع الفنية ، والتحف ، والمصنوعات ، والسلع التجارية ، وكثيراً من الصناعات ، والتشريعات ، والأساليب البحرية ، وكثيراً ما أخذت عن المسلمين أسماء مثل : البرتقال ، والليمون ، والسكر ، والشراب والشربات ، والحلاب ، والإكسير ، والإبريق ، والأوراق ، والنقش العربي ، والحشية (واللفظ الإنجليزي مشتق من المطرح) والأريكة (اللفظ الإنجليزي مشتق من الصُّفة) ، والموصلين ، والساتان ، والفتان والسوق ،

(١) ويليام جيمس ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور/زكي نجيب محمود وآخرين، دار

الجيل، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ١٣/٢١٢.

والقافلة ، والشاه مات ، والتعريفة ، وحركة المرور ، والديوان ، والمخزن ،
والخطر ، والقُلُوب بنوعيه ، والحبل ، وأمير البحار»^(١).

وقد انتقل شعر شعراء الفروسية الغزليين وموسيقاهم من بلاد
الأندلس إلى بروفانس في فرنسا ، ومن صقلية المسلمة إلى إيطاليا ، ولعل
الأوصاف العربية للرحلات إلى الجنة والجحيم كان لها نصيب من الملهة
الإلهية لدانتي ، وقد دخلت القصص الخرافية ، والأعداد الهندية إلى أوروبا
في زيبا العربي أو صورتها العربية.

كما أن العلماء العرب هم الذين احتفظوا بما كان عند اليونان من علوم
الرياضة ، والطبيعة ، والكيمياء ، والفلك والطب ، وارتقوا بها ، ونقلوا هذا
التراث اليوناني بعد أن أضافوا إليه من عندهم ثروة عظيمة جديدة إلى
أوروبا ، ولا تزال المصطلحات العلمية العربية تملأ اللغات الأوروبية ،
ونذكر منها على سبيل المثال: الجبر ، والصفير... وظل أطباء العرب يحملون
لواء الطب في العالم خمسمائة عام كاملة ، وفلاسفة العرب هم الذين احتفظوا
لأوروبا بمؤلفات أرسطو ، وكان ابن سينا وابن رشد نجمين لاحا من
الشرق للفلاسفة المدرسين الذين كانوا ينقلون عنهما ، ويعتمدون على
كتبهما ، ويثقون بهما ثقة لا تزيد عليها إلا ثقتهما بالنصوص اليونانية^(٢).

(١) ويليام جيمس ديورانت: قصة الحضارة ، ١٣ / ٣٨٤ .

(٢) المرجع السابق ، ١٣ / ٣٨٥ بتصرف .

ثانياً: كيف يرى الشرق الغرب؟

وكما اختلفت نظرة الغرب إلى الشرق - حيث ينظر الغرب للشرق بنظرة تقوم في بعض جوانبها على الدونية والاستغلال ، مع بعض الاعترافات بفضل العرب والمسلمين في عصور الازدهار للمسلمين - كذلك تختلف صورة الغرب في أذهان الشرقيين.

إن الفكر العربي والمجتمع العربي والشرقي في الوقت نفسه انقسم إلى عدة اتجاهات حيال الغرب كما يلي :

- اتجاه يرفض الغرب برمته، ويرى أن سبب تأخر المسلمين هو عدم معرفتهم بأمور دينهم بالمفهوم الضيق القاصر فقط ، وتمثل هذا الاتجاه في بعض الحركات السلفية والأصولية ، وقد فضّل هذا الاتجاه العزلة ورفض التبادل الثقافي بينه وبين مذاهب الإسلام من جهة ، وبينه وبين الغرب من جهة أخرى ، وأصبح أكثر انجذاباً للماضي منه للحاضر، ويمكن أن يسمى: «المغترب زماناً»^(١).

- اتجاه يؤمن بالتقدم الغربي ، ويعتقد بضرورة أن نبدأ مما انتهى إليه الآخرون ، وأن النتاج الغربي هو نتاج حوار حضاري ، وقد تطور هذا الاتجاه عند العرب وبدا واضحاً في رؤيته ونسبته ثقافات الشرق القديمة

(١) انظر: فؤاد زكريا: الصحو الإسلامية في ميزان العقل ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ م ،

ص ٤٢ بتصريف.

وجدور حضارته وبدوور نهضته إلى أصول غير عربية أو إسلامية، بل ودعوته إلى ترك الشرق واللحاق بالغرب، ويمكن تسمية هذا الاتجاه بـ «المغرب مكاناً»^(١).

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ الغرب بما وصل إليه من تقدّم ورقيّ في مختلف ميادين الحياة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والتّقنيّة والعلميّة والثقافيّة ، يستحقُّ الإعجاب والتّقدير والاحترام ، ويدعوننا إلى ضرورة محاكاته واستحضار تجربته في النهوض والتقدّم والرّقيّ ، فالغرب من وجهة نظر أتباع هذا الاتجاه نموذج متقدّم للحرية والديمقراطية، والدولة المدنيّة الحديثة، وحقوق الإنسان ، فلا يوجد داعٍ للخوف منه ، بل ينبغي اقتفاء أثره والتشبه به ، فعقدَةُ الخوفِ لدى الشرق من الغرب ، ناجمةٌ في الأصل عن التّخلف والجهل ، والانغلاق على الذات ، وقطع جسور العلاقة والتّواصل معه^(٢).

بيد أن الطريق الوحيد أمام الشرق لتجاوز محتته ، يتمثل في التوجه نحو حضارة الغرب وعلومه ، وتجاوزِ الذاتِ بقطع كلّ علاقةٍ مع الماضي والهويّة الثقافيّة والحضاريّة ، والسّعي للتقليد الكامل للغرب ، في قيمه

(١) انظر د/ على المرهج: العلاقة بين الشرق والغرب.. حوار أم صراع .

(٢) د/ إيمان الصّالح : جدليّة العلاقة بين الشرق والغرب وهاجس الخوف المتبادل،مجلة كلية

الأداب، حلب، ٢٠٠٨م، ص ٢٥.

وعاداته وسلوكه وطريقة تفكيره وأسلوب عيشه ، ويُدلل أصحاب هذا الاتجاه على صواب موقفهم من الغرب ، وللانتصار على عقدة الخوف منه ، بالمكانة الشخصية التي يحظون بها لدى الغرب ، وحقاوة التّكريم التي يُقابلون بها على مواقفهم التّغريبية المنحازة له^(١).

- اتجاه توفيقى ، يعتقد بضرورة التوفيق بين معطيات الحضارة الغربية المعاصرة ومعطيات الحضارة الإسلامية ، ويمكن أن ينقسم أصحاب هذا الاتجاه إلى قسمين:

الأول: ينطلق من التراث ولا يفقد صلته بالحاضر، ويعتقد أن القرآن الكريم جاء ليؤيد العقل ولا يتعارض معه ، ومن ثم فكل منتجات العقل البشري التي تخدم الإنسانية هي من مقتضيات النص الديني (القرآن والسنة النبوية)، فضلاً عن إيمان أصحاب هذا الاتجاه بالاجتهاد الذي يجعل من العقل حاكماً وطريقاً في الحكم^(٢).

والثاني: ينطلق من الحاضر ولا يفقد صلته بالماضي (التراث)، بل يحاول إحداث نوع من التواصل عبر قراءة ما يمكن أن يشكل لحظة التنوير العربي ، وقد وجد في ابن رشد غايته بوصفه يمثل أولاً: قمة ما وصل إليه

(١) جدلية العلاقة بين الشرق والغرب وهاجس الخوف المتبادل ، ص ٢٥-٢٦.

(٢) انظر: د/ علي المرهج ، العلاقة بين الشرق والغرب.. حوار أم صراع ، مقال منشور بصحيفة

المثقف ، العدد: ٤١٥٩ بتاريخ ٢٤/١/٢٠١٨م.

العقل البرهاني عند العرب ، وثانيًا : كونه يمثل اللحظة الفاصلة بين التنوير الأوروبي والتخلف العربي ، فانتقال كتب ابن رشد إلى أوروبا كان أحد الأسباب المهمة في تنشيط العقل الغربي وفاعليته ، وفي الوقت نفسه شكلت هذه اللحظة غياب العقل العربي واستقالته^(١).

ثالثًا : الاستشراق:

لا شك أن الاستشراق بوصفه حركة علمية ناهضة ، ومظهرًا من مظاهر التعرف على الآخر بما يؤسس لفهمه والتحاور معه كانت له جوانبه الإيجابية في الدرس والكشف والتحليل ، كما كانت له جوانبه السلبية في سوء الفهم أو التزييف ، وقد كان الاستشراق بمعناه السلبي أحد أسباب تعميق النظرة السلبية بين طرفي الحوار شرقًا وغربًا ، ومن هنا وجب علينا التعرف على أهداف الاستشراق في نظرة عامة :

هدف علمي مشبوه ، ويهدف إلى التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ ، وإنكارهم أن يكون الإسلام دينًا من عند الله ، والتشكيك في صحة الحديث النبوي ، وقيمة الفقه الإسلامي الذاتية ، وفي قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي.

أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص ، ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية

(١) العلاقة بين الشرق والغرب.. حوار أم صراع .

عنهم ، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء في البحث والاستنتاجات البعيدة عن الحق ، إمّا لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإمّا لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها ، فيُحِبُّون أَنْ يتصوَّروها كما يتصوَّرون مجتمعاتهم ، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرِّق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها ، وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها.

وهذه الفئة أسلم الفئات في أهدافها ، وأقلّها خطرًا ؛ إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبيَّن لهم ، ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في جَوِّ البيئة التي يدرسها ، فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع ، ولكنهم يلقون عتًا ممن يتهمونهم بالانحراف عن النهج العلميّ ، أو الانسياق وراء العاطفة ، أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم ، كما فعلوا مع « توماس أرنولد » حين أنصف المسلمين في كتابه العظيم « الدعوة إلى الإسلام »، فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين ، على عكس مخالفيهم معهم ، هذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام يطعن فيه المُستَشْرِقُونَ المُتَعَصِّبُونَ ، بأنَّ مؤلفه كان مندفعًا بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين ، مع أنه لم يذكر فيه حادثة إلاَّ أرجعها إلى مصدرها.

ولا تزال شبهات الاستشراق بمعناه السلبي تدور حول العقيدة الإسلامية ، وحول القرآن الكريم ، وحول سيرة الرسول ﷺ ، وحول الحديث النبوي الشريف ، وربما الفارق الوحيد في درجة التعقيد التي أصابت مدارس الاستشراق الحديثة ، وذلك يعود إلى الفترة الزمنية الطويلة التي يعمل عليها الاستشراق الحديث ، فأمامه أحداث أربعة عشر قرناً من التاريخ الإسلامي ، كما أنه يستفيد أيضاً من منجزات العلم الحديث ووسائله الحديثة في تكثيف الهجوم على الإسلام ، كما أن شبهات الاستشراق الحديثة أمامها بعض الأهداف التي ربما لم تكن موجودة في الزمان القديم ، منها الدور الأوروبي الغربي في تحقيق الأهداف الاستعمارية الحديثة في العالم الإسلامي .

إن الاستشراق في شقه السلبي يعد أحد الأسباب الرئيسة في تكوين الصورة السلبية بين الشرقي والغربي ، وبالرغم من رفض العديد من المستشرقين تصنيفهم تحت هذا المسمى ؛ لما اكتسب به من ظلال سلبية ، غير أن ذلك لا يعفيهم من تبعات تاريخية .

فعلى سبيل المثال لا الحصر المستشرق الأمريكي «جون اسبوزيتو» والمستشرقون الفرنسيون «دومانيك شوفالية» و «مكسيم رودنسون» و«جاك توبي» ، والمستشركة الرومانية «نادية انجيليسكو» يعتقدون أنهم مؤرخون للشرق وليسوا مستشرقين .

إن هذا التيار من المستشرقين قدموا الحضارات الشرقية ، غير أن هذا التقديم شابه كثير من الغموض والتحريف ، حيث وصلت بعض دعواته إلى التخلي عن الدين والتراث لدى الشرقيين بشكل عام ، أو فهم الدين بالفهم الغربي ، ووصم الثقافة الحضارية الشرقية في إطار ما يسمى «الاستبداد الشرقي» ، وتعميم وصفها بالتشدد والقسوة والتعصب والإرهاب وغير العقلانية ، ويتظاهر هذا الفهم المنحرف للثقافة الشرقية على أنه نوع من الوصول إلى حقيقة هذه الحضارة^(١).

لقد أثارت نظرة المستشرقين المتعالية حفيظة كثير من الشرقيين والمفكرين العرب ، مما يجعلهم يرون أن الغرب لم يحسن قراءة تاريخ الشرق والإسلام بالذات ، فهذا المفكر الأنثروبولوجي^(٢) ليفي بريل يقول: إن الغرب هو الذي توصل إلى الفكر العقلاني والمنطقي ، وأما بقية الشعوب فلا تزال تعيش في مرحلة العقلية غير المنطقية ، ومن ثم عليها أن تمر بنفس المراحل

(١) د/ أحمد عارف أرحيل الكفارنة : معوقات الحوار بين الشرق والغرب، ص ٣٠٠.

(٢) الأنثروبولوجي Anthropology ، هو أحد أفرع علم الاجتماع، ويختص بدراسة الجماعات البشرية من حيث كونها ذات عقل وثقافة ، وله أقسام أربعة هي: الأنثروبولوجيا الطبيعية، المعنية بدراسة السلالات البشرية وأوصافها الجسمية المختلفة، والأنثروبولوجيا الاجتماعية، المعنية بتحليل البناء الاجتماعي لكل مجتمع بشري، والأنثروبولوجيا الثقافية والحضارية، المعنية بدراسة المنتج الثقافي والحضاري لكل مجتمع بشري، والأنثروبولوجيا التطبيقية، المعنية بدراسة مشاكل الاتصال والتواصل مع شعب مستهدف بعينه، وهو الفرع الذي نشط بعد الحرب العالمية الثانية . انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ٢٤، موقع ويكيديا ، مادة علم الإنسان .

التطورية كى تلحق بالغرب^(١)، وبما أنها لا تستطيع أن تفعل ذلك بمفردها فإنه ينبغي على الغرب أن يساعدها ، أي يستعمرها .

وهكذا يتضح أن المنطق الاستشراقي في شقه السلبي ركز على إبراز ما بين الشرق والغرب من تناقضات في سياق من التفكير العنصري المتعصب والحاقد ضد كل ما هو ليس غربيًا ، وبما يمثل معوقًا من معوقات الحوار الثقافي بين الشرق والغرب .

رابعاً : نزعة التطرف والتعصب :

التطرف لغة :

تطَرَّفَ عليهم : أغار ، وتطرف الشيء صار طرفاً ، وأصل الطرف : الضرب على طرف العين، ثم نقل إلى الضرب على الرأس، وتطرف : أتى الطرف ، ويُقال : تطرفت الشمس دنت للغروب ، وتطرف في كذا، جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط^(٢) .

التطرف اصطلاحاً :

التطُّرف : المغالاة ومجاوزة الحد بما ينافي الاعتدال في الأمور جميعها^(٣) .

(١) كامل الدلفى: نحن وتطور الحضارات في حسابات المفهوم ، موقع الحوار المتمدن، مجلة

إلكترونية، العدد ١٨٣٤، تاريخ ٣٢/٣/٢٠٠٧م .

(٢) لسان العرب، والمعجم الوسيط : مادة (طرف) .

(٣) أ.د/ أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩ هـ -

٢٠٠٨م ، ١٣٩٦/٢ ، بتصرف .

التعصب لغة:

شَدَّ العِصَابَةَ ؛ وَتَعَصَّبَ: أَتَى بالعَصَبِيَّةَ ، وَهُوَ أَنْ يَدْعُوَ الرَّجُلَ إِلَى نُصْرَةِ عَصَبَتِهِ وَالتَّأَلُّبِ مَعَهُمْ عَلَى مَنْ يُنَاوِئُهُمْ ، ظَالِمِينَ كَانُوا أَوْ مَظْلُومِينَ، وَقَدْ تَعَصَّبُوا عَلَيْهِمْ إِذَا تَجَمَّعُوا^(١)، وانعصب: اشتد^(٢).

التعصب اصطلاحاً:

هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل من فرط التّماهي في الميل والانحياز^(٣).

وقيل : هو ارتباط الشخص بفكر أو جماعة والانغلاق على مبادئها، وقد يكون تعصباً دينياً أو مذهبياً أو سياسياً أو طائفيّاً أو عنصريّاً ، وهو سلوك خطير قد ينحدر نحو الأسوأ ثم يؤدي إلى التطرف والهلاك والخراب^(٤).

والتطرف لا يقتصر على أتباع دين دون دين أو مجتمع دون الآخر، بل هو داء لا يكاد يسلم منه أو من بعض آثاره مجتمع من المجتمعات ، وعلى الرغم من انتشار الظاهرة عالمياً إلا أنها تتفاوت حدتها من مجتمع إلى آخر، فهي في بعض المجتمعات أوضح وأظهر منها في البعض الآخر ؛ وهذا

(١) تاج العروس ٣/ ٣٨١.

(٢) د/ أحمد رضا : معجم متن اللغة، مكتبة الحياة - بيروت ، ١١٧/٤ .

(٣) أ.د/ أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ١٥٠٥/٢ .

(٤) المرجع السابق ، ١٥٠٦/٢ .

راجع لقوة العوامل المؤدية لهذه المشكلة ، ومن ثم يجب أن تتم معالجة الأسباب الدافعة للتعصب والتطرف الذي يؤدي إلى العنف والعدوان والإرهاب ، تلك الأسباب التي تشكل أرضاً خصبة لانتشار التعصب والتشدد في العالمين العربي والغربي على السواء.

ولا شك أن الحوار الجاد والمجادلة بالحسنى من قبل المتخصصين يعد من الآليات المهمة لمعالجة التعصب والتشدد وافتقاد ثقافة الحوار لدى الطرفين ، ومن ثم القضاء على التطرف وإبطال حججه ومزاعمه ، وكشف مواطن الانحراف عند المتطرفين ، وتمثل بعض أنواع الخطاب المتبادلة بين الجانبين هذه النزعة المتطرفة والمتعصبة ، والتي تعد من أهم معوقات الحوار الثقافي بين الشرق والغرب ، وفيما يلي بيان ذلك:

الخطاب الشرقي المتشدد ضد الغرب :

إن الخطاب الشرقي المتشدد لدى البعض ضد الغرب يرى أن الغرب والشرق عدوان على مر التاريخ ، ومن المستحيل التفاهم أو التعايش معاً في إطار علاقة إنسانية وتعاون دولي ، فأصحاب النظرة المتطرفة يرون أن الغرب هو العدو الأساسي للإسلام ، ويكفرون الغرب من هذا المنطلق جهلاً وعدواناً ، حتى إن تكفيرهم يتجه إلى من يخالفهم من أبناء دينهم ، ولا ينكر أصحاب هذه النزعة المتطرفة التقدم العلمي الغربي ، إلا أنهم

يأخذون عليه أطماعه في الشرق وخيراته ، وانحيازه مادياً ومعنوياً لأعداء الشرق ، وكذلك يأخذون عليه فساده الأخلاقي والاجتماعي ، والإساءة المتكررة للثقافة العربية والإسلامية ، ويرون أن الحوار الثقافي مع الغرب لا فائدة ترجى منه .

كما يرون أن الغرب وحده يتحمل الجانب الأكبر من المسؤولية عن حالة التخلف التي يعاني منها الشرق .

إن آفة التعصب لرأي أو مذهب ، زعم أن من خالف هذا الرأي والمذهب مبتدعاً متبعاً لهواه ، ولو كان متأولاً تأويلاً مقبولاً يتسع له الدليل والبرهان ، كأن رأيهم ومذهبهم هو المقياس والميزان ، أو كأنه الكتاب والسنة والإسلام، وهكذا استزهم الشيطان وأعماهم الغرور^(١) .

ولا شك أن خطاباً هذه آفته لا يرتجى منه خير ، والإسلام برىء من هذه الآفات والمعتقدات في خطاب الآخر والتعامل معه ، يقول تعالى :

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢) ، وأما من يرتكب هذه الآفات فهو صاحب فكر

(١) انظر: محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ، مطبعة عيسى البابي الحلبي

وشركاه، الطبعة الثالثة ، ٣٥ / ٢ .

(٢) سورة النحل : ١٢٥ .

منحرف ، وعقيدة ضالّة ، ويحمل إثمه وجرمه ، فلا يحتسب عمله على الإسلام ، ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام ، المعتصمين بالكتاب والسُّنَّة ، المستمسكين بحبل الله المتين ، وإنما هو محض إفساد وإجرام تُأباه الشريعة والفطرة^(١)، وثقافة العرب وآدابهم خير شاهد على ذلك^(٢).

الخطاب الغربي المتشدد ضد الشرق العربي:

إن القوة المادية والعلمية التي وصل إليها الغَرْبِيُّونَ في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أدخلت في نفوس بعض علمائهم ومُؤرِّخِيهِمْ وَكُتَّابِهِمْ قدرًا كبيرًا من الغرور ، وقد ظهر ذلك في الخطاب الغربي المتشدد لدى بعض الغربيين ، حيث جاء معاديًا للشرق وللعرب والمسلمين ، فلا يرى فيهم إلاّ عدوًّا يُهددُ مصالحه ، ويسعى إلى تقويضِ مدنيّته^(٣)، ومن ثم فإن بعض زعماء اليمين المتطرف في أوروبا يكثرون من استخدام مصطلح «معركة أوروبا» الذي برز ووجد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر

(١) بيان هيئة كبار العلماء : خطورة التسرع في التكفير والقيام بالتفجير وما ينشأ عنهما من سفك للدماء وتخريب للمنشآت ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، ص ٨.

(٢) د/ إيمان الصّالح : جدليّة العلاقة بين الشرق والغرب وهاجس الخوف المتبادل، ص ٢٦ بتصرف.

(٣) أ.د/ جابر عصفور : مواجهة الإرهاب .. قراءات في الأدب العربي المعاصر، دار الفارابي،

بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٣١٠.

عام ٢٠٠١م في العديد من البلدان الأوروبية ، ويكفي أن نلقي نظرة على أدبياتهم ، وهذا المصطلح قد أخذ طريقه في التطبيقات العملية ، ويكفي القول: إن « جيل كبيل » مُنظر معركة أوروبا أفرد في كتابه « معركة أوروبا » نحو سبعين صفحة ينبه فيها إلى أخطار المواجهة ، والتي محورها الخوف من السيطرة على أوروبا ، ليس فقط من قبل المتشددين في الشرق ولكن من المسلمين الأكثر اعتدالاً .

إن التعصب ما زال أثره باقياً في كثير مما يكتبه بعض الغربيين عن الإسلام وحضارته ، في حين أن إنصاف الإسلام ورسوله عند العلماء والأدباء الغربيين نجده عند الذين تحلّلوا من هذا التعصب ، ونضرب لذلك مثلاً بكتاب « حضارة العرب » لمؤلفه « جوستاف لوبون » ، فإنه أعظم كتاب ألفه الغربيون في إنصاف الإسلام وحضارته ؛ هذا لأن « جوستاف لوبون » فيلسوف مادي لا يتعصب لدين ، من أجل هذا ومن أجل إنصافه للحضارة الإسلامية ، لا ينظر إليه الغربيون في أوساطهم العلمية نظر التقدير الذي يستحقه علمه ، فهو - بلا شك - من أعظم علماء الاجتماع والتاريخ في القرن التاسع عشر ومع هذا فقد تحامل عليه الغربيون .

* * *

آليات تعزيز الحوار الثقافي بين الشرق والغرب

من آليات تعزيز الحوار الثقافي بين الشرق والغرب ما يلي:

(١) المؤسسات الدينية :

إن المؤسسات الدينية كالأزهر الشريف ، ووزارات الأوقاف والشئون الدينية ، ودور الإفتاء في البلاد العربية ، لها دور بارز في تعزيز عملية الحوار الثقافي ؛ من خلال الإصدارات والندوات والمحاضرات والمؤتمرات المشتركة ، وإدارة الحوار والعمل المشترك على شاکلة التجربة المصرية من خلال العلاقة المتميزة بين أبناء الوطن الواحد ، والمبادرات المشتركة بين الأزهر الشريف والكنيسة المصرية مثل " بيت العائلة " ، ومبادرة " معاً في خدمة الوطن التي تعقد سنوياً " بالتعاون بين واعظات الأوقاف وراهبات الكنائس لتصحيح مفاهيم كثيرة خاطئة لدى الآخرين ، والإصدارات التي تسهم بشكل كبير في تعزيز عملية الحوار الثقافي مثل كتابي : " الإسلام وقضايا الحوار " ، و " الحوار الإسلامي المسيحي " للأستاذ الدكتور/ محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف الأسبق ، الذين أصدرتهما وزارة الأوقاف المصرية ، تلك الأعمال التي توجت بافتتاح "مسجد الفتاح العليم" و"كاتدرائية ميلاد المسيح عيسى (عليه السلام)" بالعاصمة الإدارية الجديدة بالقاهرة في يوم واحد ، إضافة إلى الجهود

الكبيرة التي تقوم بها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في كثير من الدول العربية والإسلامية .

وإلى جانب ذلك يستمر عمل الخطاب الدعوي في تعزيز عملية الحوار الثقافي بفاعلية كبيرة ، وذلك من خلال:

- ١ . إطلاق قوافل حوارية تُعنى بالاستماع إلى الشباب ومناقشة الحجة بالحجة والفكر بالفكر، وتفعيل المنهج الحوارى مع الشباب بقوافل تجوب القرى والنجوع وسائر ربوع الوطن في ثوب عصري يتسق ومستجدات العصر ومتغيراته.
- ٢ . إقامة الملتقيات الحوارية والثقافية والدينية ، في المدراس ، والمساجد ، والمعاهد ، ومراكز الشباب ، والمؤسسات المعنية بهذا الشأن ، بمشاركة العلماء المتخصصين وشباب الأئمة المميزين.
- ٣ . إقامة الندوات والمحاضرات التثقيفية والتوعوية في مراكز الشباب وقصور الثقافة ، دعماً لوسائل الحوار ، ونبذ كل ألوان التعصب الأعمى والعصبية المقيتة.
- ٤ . التعرف عن قربٍ على المشكلات الفكرية والثقافية ، والعمل الجاد على محو الأمية الإسلامية لدى جميع شرائح المجتمع ؛ وبخاصة الشباب.
- ٥ . عمل " دراما " دينية وثقافية ، يُبث من خلالها المكون الثقافى المعتدل الوسطى بما يتفق مع حضارتنا وثقافتنا وتراثنا وقيمنا ، ويرسخ قيم الحوار وثقافة الحوار.

٦. مشاركة الشباب في المؤتمرات الدولية والمحافل العامة التي تُعنى بنشر الفكر الإسلامي الوسطي.

٧. التوسع في المسابقات البحثية الدينية والثقافية ، محلياً وعربياً ودولياً .

٨. التنسيق بين الجهات المعنية بالدعوة والفكر والثقافة في عالمنا العربي والإسلامي ، من أجل نشر ثقافة التعايش السلمي وفق الفهم الوسطي الصحيح للإسلام ، وبما لا يتعارض مع ثوابتنا العقيدية والإسلامية ، وإقامة شراكات فكرية وثقافية مع المؤسسات والمنتديات العالمية المعنية بالتواصل الحضاري دون تكبر أو استعلاء من أحدها على الآخر أو الآخرين ، أو محاولات إملاء على الآخر أو المختلف ، بل مع من يؤمنون بالقيم الإنسانية المشتركة ، ويعملون على ترسيخها ، شكلاً ومضموناً ، ظاهراً وباطناً ، دون موارد أو مخادعة ، أو توظيف لمصالح سياسية أو اقتصادية أو أيديولوجية ، مع احترام ثقافة وخصوصيات الآخرين.

ولا شك أن البشرية جمعاء في حاجة إلى التأكيد على منظومة القيم الإنسانية ، والإيمان بالتنوع الحضاري والثقافي ، والانطلاق للعيش معاً ، من خلال المشترك الإنساني بين البشر جميعاً ، والتأكيد على أن هذا التعايش هو من صميم رسالة الأديان جميعاً ، حتى لا يُستغل الدين لمصالح سياسية أو أطماع اقتصادية ، فيحدث القتل والتدمير والتخريب باسم الدين ، والدين منه براء.

على أن الحق سبحانه وتعالى قد كرم الإنسان على إطلاق إنسانيته دون تفرقة بين بني البشر ، فقال (عز وجل): ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا هُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَا هُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١) ، وهو ما أكده نبينا ﷺ في خطبة حجة الوداع ، حين قال: (أيها الناس إن إلهكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى)^(٢).

وقد أجمعت الشرائع السماوية على جملة كبيرة من القيم والمبادئ الإنسانية ، من أهمها: حفظ النفس البشرية ، قال تعالى: ﴿أَنَّهُ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾^(٣) ، فالإنسان بنیان الرب ، من هدمه هدم بنيانه (عز وجل).

(١) الإسراء: من الآية ٧٠ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ، ٣٨ / ٤٧٤ بنحوه .

(٣) المائدة: من الآية ٣٢ .

ولهذا قَدَّرَ نبينا ﷺ للنفس الإنسانية حُرمتها ، فلما مرّت عليه جنازة يهودي وقف لها ، فقبل له: إنها جنازة يهودي ، فقال ﷺ: (أليست نفساً؟!)^(١) .

ومن القيم التي أجمعت عليها الشرائع السماوية كلها: العدل ، والتسامح ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، والصدق في الأقوال والأفعال ، وبر الوالدين ، وحرمة مال اليتيم ، ومراعاة حق الجوار ، والكلمة الطيبة ، وعدم تطفيف الكيل أو الميزان ، وذلك لأن مصدر التشريع السماوي واحد، ولهذا قال نبينا ﷺ: (الأنبياءُ إخوةٌ لِعَلّاتٍ ، أمّهاتهم شتى ودينهم واحدٌ)^(٢) .

فقد تختلف الشرائع في العبادات وطريقة أدائها وفق طبيعة الزمان والمكان ، لكن الأخلاق والقيم الإنسانية التي تكون أساساً للتعايش لم تختلف في أي شريعة من الشرائع ، يقول نبينا ﷺ: (إنَّ مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فافعل ما شئت)^(٣) .

وأرونا أي شريعة من الشرائع أباحت قتل النفس التي حرم الله إلا

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب " من قام لجنازة يهودي " .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب " واذكر في الكتاب مريم " ، وأولاد العَلّات هم: الإخوة لأب من أمهات شتى .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الآداب ، باب " الحياء " .

بالحق ، أو أباحت الزنا ، أو عقوق الوالدين ، أو أكل السحت ، أو أكل مال اليتيم ، أو أكل حق العامل أو الأجير! وأرونا أي شريعة أباحت الكذب ، أو الغدر ، أو الخيانة ، أو خُلف العهد ، أو مقابلة الحسنة بالسيئة ! .

بل على العكس ؛ فإن جميع الشرائع السماوية قد انفتحت وأجمعت على تقدير القيم الإنسانية السامية ، ونبذ الأخلاق الذميمة ، فمن خرج على ما أجمعت عليه هذه الشرائع فإنه لم يخرج على مقتضى الأديان فحسب ، وإنما يخرج على مقتضى الإنسانية ، وينسلخ من آدميته ، ومن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (١) .

ولقد نص القرآن الكريم على الوصايا العشر المتفق عليها في الأديان كلها ، فأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله بشريعة الإسلام خاتم الأديان ومتممها، حيث يقول الحق سبحانه مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ مِّمَّنْ نَّرَزَقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

(١) الروم: من الآية ٣٠ .

تَعْقِلُونَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا
 الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۚ لَا تَكْلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا
 وَلَوْ كَانَتْ ذَاتُ قُرْبَىٰٓ وَيَعَاهِدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٧﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
 فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾ ،

ولهذا قال ابن عباس (رضي الله عنهما) عن هذه الآيات الكريهات: هذه آيات محكمات لم ينسخن شيء من جميع الكتب وهن محرمات على بني آدم جميعا، وهن أم الكتاب ، أي: أصله وأساسه، من عمل بهن دخل الجنة ، ومن تركهن دخل النار .

وديننا الحنيف علمنا أن نقول الكلمة الطيبة للناس جميعا بلا تفرقة ، فقال سبحانه: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٢) ، بل نحن مطالبون أن نقول التي هي أحسن ، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٣) .

ويقولون: البر شيء هين ، وجه طلق ، وقول لين ، ويقول الحق

(١) الأنعام: ١٥١-١٥٣ .

(٢) البقرة: من الآية ٨٣ .

(٣) الإسراء: من الآية ٥٣ .

سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا
الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ
صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (١).

وفي تعاليم سيدنا عيسى (عليه السلام): " من ضربك على خدك
الأيمن فأدر له خدك الأيسر " في دعوة عظيمة إلى التسامح في كل الشرائع
السماوية لكي تعيش البشرية في سلام وصفاء ، لا نزاع وشقاق ، أو عنف
وإرهاب (٢).

فالأديان كلها أتت من أجل خير الإنسان وسعادته البشرية في العاجل
والآجل ، والقيم الدينية في كل حضارة كانت هي الأساس للقيم الأخلاقية
السامية والمبادئ الإنسانية الرفيعة ، والحضارات التي لا تُعنى بالقيم
والأخلاق تحمل عوامل سقوطها مع لبنات بنائها ، ومن هنا فإن الحوار
حول ما يجمع أصحاب الأديان من قيم إنسانية مشتركة هو أفضل السبل
لتفهم كل جانب للآخر ، والتعاون البناء من أجل خير الإنسان وتقديمه
واستقرار الأمن والسلام في العالم ، وعلى هذا النحو يمكن إقرار السلام بين

(١) فضّلت: ٣٤-٣٥ .

(٢) أ.د/ محمد مختار جمعة ، " تجديد الفكر الديني " ص ١٥ - ١٨ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بالقاهرة.

الأديان الذي يعد شرطًا لا مفر منه ، لإقرار السلام بين بني البشر^(١) .

(٢) الوسائل الإعلامية :

يعتبر الإعلام من أهم آليات التعاون الحضاري بين الأمم، وأخطر وسيلة للسيطرة على الرأي العام ، وقد لعب الإعلام دورًا بارزًا في حياة المجتمعات الإنسانية ، ولهذا ارتبط الإعلام بكافة أنواعه ووسائله بمصطلح (الرأي العام)، وهو أحد المصطلحات شائعة الاستخدام بين الكتّاب والباحثين والسياسة، ولم يأت هذا الاهتمام الكبير من فراغ، فقد أصبح الرأي العام الآن قوة لا يستهان بها في معظم دول العالم بما في ذلك الدول العربية^(٢) .

ووسائل الإعلام- سواء كانت تقليدية: كالصحف ، والتلفزيون، والإذاعة ، أو الوسائل الحديثة: كالصحافة الإلكترونية ، ومواقع الأخبار والمعرفة المختلفة على شبكة الإنترنت، أو مواقع التواصل الاجتماعي: كالفيس بوك ، وتويتر ، ... وغيرها، والتي تُعد الآن أحد وسائل نقل الأخبار والأكثر شهرة في العالم- لها تأثير كبير على تشكيل البناء الإدراكي

(١) أ.د/ محمود حمدي زقزوق ، «الحوار الإسلامي المسيحي»، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ص ١٦-١٧ .

(٢) انظر: زينب رمضان شافعي أبو طالب: منهجيات قياس الرأي العام ، الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ، القاهرة ، بحث بور بوينت .

والمعرفي للفرد والمجتمع ، وبدوره يسهم هذا البناء في تشكيل رؤية الفرد والمجتمع تجاه القضايا المجتمعية ، وكذلك القدرة على تحليلها واستيعابها لاتخاذ السلوك المناسب حول هذه القضايا.

ولوسائل الإعلام القدرة على تغيير سلوك وأنماط المجتمع ، وقد يبلغ تأثيرها من القوة في بعض الأحيان بحيث تنشر نمطاً سلوكياً وثقافياً واجتماعياً ينتهجه الفرد أو المجتمع ، ويكون له تأثير على وجهات النظر الغربية ، سواء أكانت موجهة للأفراد ، أو للمجتمع العربي كله ، وفي بعض الأحيان يكون تأثير وسائل الإعلام أقل ، ويرجع ذلك إلى أسباب على رأسها:

(١) ضعف المواد الإعلامية المتداولة.

(٢) عدم الثقة فيما ينشر.

(٣) اختلاف وجهات النظر.

ويستطيع الفرد أو المجتمع الخروج من النمط الفكري ، والمجتمعي ، والسياسي ، الذي ترسمه وسائل الإعلام ، ويتوقف ذلك على مدى رغبة الفرد ، أو المتلقي ، في التعرض للرسائل والمعلومات التي تبثها وسائل الإعلام المختلفة ، فكلما كان الفرد أو المتلقي لديه رغبات وإشباع حول معلومات أو قضايا معينة ، فإنه يتجه إلى وسائل الإعلام لإشباع رغباته

وتطلعاته، بما يسمى نظرية « التعرض الانتقائي»، بمعنى أن الفرد أو المتلقي يبحث دائماً في وسائل الإعلام؛ عما يتفق مع أفكاره واتجاهاته، حتى لو كان ما يبحث عنه المتلقي هو مشاهدة أفلام سينمائية، أو أغاني فيديو كليب، فذلك يدخل ضمن إشباع رغبات المتلقين^(١).

ويؤكد علماء النفس والاجتماع أن الإعلام بوسائله المتعددة، هو أكثر وسائل التأثير على عقول وأفكار الناس، وبذلك فإنه الوسيلة الأولى التي تشكل اتجاهات الناس نحو المواضيع والمواقف الحياتية اليومية التي تعيشها وتواجهها المجتمعات العالمية، كما أصبح الإعلام يستخدم في التنظيم والبناء الاجتماعي المتكامل من أجل مصلحة الفرد والمجتمع، وفق ما يراها صاحب الآلة الإعلامية^(٢).

ومع التطورات الهائلة التي شهدتها العالم منذ أواخر القرن العشرين، وخاصة في مجال الاتصال وتكنولوجيا المعلومات، أصبح العالم قرية كونية صغيرة؛ فقد أصبحنا نعيش عصر الأقمار الصناعية، وما تنقله إعلامياً من

(١) انظر: دور وسائل الإعلام في توعية المجتمع، مقال، موقع سبلة عمان، تاريخ النشر: ٢٨/٣/٢٠١٤م.

(٢) انظر: انتصار إبراهيم عبد الرازق، وصفد حسام السموك: الإعلام الجديد.. تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع، الكتاب الأول، ٢٠١١م، ص ١١٠.

معلومات وأخبار ، وما أحدثته من تقارب ثقافي ومعرفي أتاح اطلاع الفرد على أحداث العالم حين حدوثها ، مما زاد من تأثير الإعلام ووسائله وقدرته على الهيمنة على الرأي العام والخاص^(١).

ويتفق معظم الباحثين على أن جملة التحولات الكمية والنوعية التي طرأت على وسائل الإعلام والاتصال في الآونة الأخيرة ، وما أدت إليه من نتائج مهمة على صعيد واقع الحياة الاجتماعية بأشكالها المختلفة ، تُعدُّ من أهم الخصائص التي يتميز بها عالمنا المعاصر ، وهو ما يُلقى بالمسئولية الكبيرة والأهمية القصوى للدور الإعلامي في تعزيز الحوار الثقافي بين الشرق والغرب ، وذلك من خلال عدة آليات ، منها:

١- الإعلام المثقف ودوره في تحول وجهة النظر الغربية:

للإعلام المثقف دوره في التحول الاجتماعي ، والدفاع عن القضايا والنظريات المهمة التي ما كانت لتجد صدى كبيراً لولا وجود هذا الإعلام الذي يجب أن يكون دائماً يقظاً في مواجهة ما يثار من قضايا وشبهات .
والدليل على ذلك ما انتهجته بعض وسائل الإعلام الغربي من استضافة العديد من المثقفين العرب المتخصصين في الإسلاميات ، ومن أصول عربية؛ لمعرفة أشياء أساسية أثبت الغرب عدم معرفته بها عن الحضارة العربية، وكذلك

(١) انظر: زينب رمضان شافعي أبو طالب: منهجيات قياس الرأي العام.

لتصحيح بعض الرؤى المغلوطة ، ومن هذا المنطلق يظهر المؤشر ليين دور هذا الإعلام المثقف في تناول مثل هذه الرؤى والقضايا التي تتعلق بصور حضارية^(١).

ومن أمثلة ذلك ما قامت به صحيفة إنجليزية (كلير فورستير BBC)، بإعداد برنامج تتحدث فيه عن كل الظواهر الكونية ، وعن صدق القرآن وآياته ، وعن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بطريقة علمية وثابتة وثائقيّة ، نقلتها أجهزة وأقمار صناعية ، لتختتم كل حلقة بأية قرآنية ذكرت هذه الظاهرة، ولم تكتف بذلك بل تناولت كل الشرائع الإنسانية، لتؤكد صدق رسالة النبي ﷺ ، وتظهر أن كل هذا موجود في القرآن ، وأن هذا ما قاله وفعله رسول الإسلام محمد ﷺ ، وهي بذلك قد اتبعت منهج التوثيق لتثبت الحقائق من خلال وثائق ومصادر لا يمكن التشكيك فيها، وهو ما يجب أن يدعمه ويقوم به الإعلام العربي .

٢- الإعلام الاستقصائي ودوره في توجيه الغرب إلى الحقائق:

الإعلام الاستقصائي ، هو الإعلام الذي يقوم على محاولة الوصول إلى عمق الحقائق عن طريق الاستبيانات ، أو دراسة البيانات المتوفرة

(١) انظر: هندة العرفاوي: المثقفون العرب وأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، مجمع الأطرش للكتاب

المختص ، تونس، جوان ٢٠١٦ م، ص ٣٣.

والتحقيقات الجنائية والحسابية اللازمة ، ابتغاء إظهار حقيقتها أمام الرأي العام وصنّاع القرار ، مهما كانت الحقيقة.

ولا تقتصر مهمة الإعلام الاستقصائية في محور واحد فقط، بل تمتد إلى ما يهم العالم العربي من قضايا صحية ، وبيئية ، وتعليمية ، ويعزز الإعلام الاستقصائي دور الصحافة في أي مجتمع ، ويدعم مكانتها باعتبارها السلطة الرابعة ، «وتُعدّ التحقيقات الصحفية أعلى مراتب العمل والاحتراف الصحفي وأصعبها، فالبحث عن المعلومة والتدقيق بها يتطلب بذل جهد أكبر ، ومواظبة على العمل والتواجد في أي مكان ، وفي أي وقت، وذلك لخدمة التحقيق والبحث عن الحقيقة ، وهو ما يؤدي إلى حماية المجتمع وتحذيره من المخاطر التي تحيط به ، وخاصة المخاطر التي تستهدف كيانه، وأمنه، وشبابه»^(١).

ولهذا يُعدّ الإعلام الاستقصائي سواء أكان مكتوباً أم مرئياً أم مسموعاً ، من أهم الآليات التي يجب استخدامها في تصحيح وجهة النظر الغربية، وهناك الكثير من القضايا التي وجهها العالم الغربي إلى العالم العربي وكانت تحتاج لمثل هذا الإعلام ؛ لإظهار الحقيقة وتغيير وجهات النظر التي رُوّج لها في بعض وسائل الإعلام الغربي .

(١) انظر: سناء محمد الجبور: الإعلام الاجتماعي ، دار أسامة للنشر والتوزيع عمان ، الأردن ،

٢٠١٤م ، ص ٥٧ .

من مميزات الإعلام الاستقصائي:

- (١) أنه إعلام إبداعي .
 - (٢) أنه يضع أجندة للإصلاح في الداخل والخارج .
 - (٣) أنه يُعد أحد مصادر المعلومات الموثوقة ، والموثقة ، التي يستطيع المجتمع الاعتماد عليها ، وخاصة لمناقشة وتصحيح وجهة النظر الغربية لتحقيق الشفافية والنزاهة .
 - (٤) يُعد قوة للتغيير الاجتماعي .
 - (٥) يشكل دافعاً قوياً نحو احترام حقوق الإنسان ، وإظهار حقيقة الإنسان العربي وقيمه وحضارته .
- وللإعلام الاستقصائي دور مهم ومحوري في رفع المستوى الثقافي ، وتوفير الوعي وتشكيل رأي عام يحقق الغايات والأهداف الوطنية^(١) ، ويحقق بيئة مناسبة لدعم الذات الوطنية في مخاطبة الآخر ، وتعزيز سبل الحوار بين الشرق والغرب .

٣- صناعة الصور الذهنية لتغيير وجهة النظر الغربية :

تستخدم وسائل الإعلام بمختلف أنواعها الصورة الذهنية للتعبير عن وجهة نظر معينة ، سواء تعلق هذه الصورة بالأشخاص والمؤسسات ، أم

(١) انظر: هالة كاسو: الإعلام الاستقصائي ... الصحافة التقليدية تجمع الأفكار والاستقصائية

تنظيمها ، موقع الوحدة ، عن مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر، العدد : ٨٦٧٤ ، الإثنان ٦

حزيران ٢٠١٦م .

الدول والمجتمعات ، وكثيرًا ما تنجح في ذلك من خلال ترسيخ تصور معين، أو إلغاءه، أو تغييره من السلبي إلى الإيجابي ، أو العكس ، لاسيما وأن الإعلام في عصرنا الحاضر أصبح المحرك الأساسي لمجريات الأحداث الدولية، وعاملاً لنشر الأفكار في المجالات المختلفة ، وقد وصلت الدول الكبرى إلى ما هي عليه اليوم بفضل توظيفها لوسائل الإعلام ، باعتباره وسيلة لخدمة مصالحها ونشر سياستها على المستوى الداخلي والخارجي (١).

٤- الإعلام الاجتماعي (الإعلام البديل):

تُعدُّ مواقع وشبكات التواصل الاجتماعي أحد أبرز مظاهر وآليات الإعلام الجديد، الذي أنتجته وساعدت على ظهوره ثورة الإنترنت، ويعتمد على التقنيات الجديدة مثل المنتديات والمدونات، وبرامج التواصل الاجتماعي، ويمتاز بأنه إعلام غير وسيط، حيث إن الجميع يكون مرسلًا ومستقبلًا، بعكس الإعلام التقليدي الذي هو إعلام وسيط يبدأ بإرسال مؤسساتي إلى استقبال جماهيري (٢).

ويعرف هذا الإعلام بالإعلام الاجتماعي الجديد أو الإعلام البديل ، الذي يشهد حركة ديناميكية من التطور والانتشار ، بعد أن كان في بدايته

(١) انظر: نفيسة نايلي: دور وسائل الإعلام في صناعة الصورة الذهنية .. صورة المرأة في السينما

العربية نموذجًا، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، ص ١.

(٢) انظر: تقرير وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي ، التقرير الأول ٢٠١٥م، صادر عن قمة

رواد التواصل الاجتماعي العرب ، ص ٣٠-٣١ بتصرف.

مجتمعاً افتراضياً على نطاق محدود ، ثم ما لبث أن ازداد مع الوقت ليتحول من إدارة إعلامية نصية مكتوبة إلى إدارة إعلامية سمعية وبصرية . ويمثل التفاعل الاجتماعي في العملية الاتصالية ، مكانة بارزة عند علماء النفس والاجتماع الذين أولوه أهمية خاصة ، واعتبروه أساس العلاقات العامة بين الأفراد وعصب العملية الاتصالية ، ويشمل : العمليات الإدراكية ، المشاعرية والسلوكية التي تتم بين الأطراف المتصلين . وأساس فكرة مواقع التواصل الاجتماعي كان مبنياً على تحقيق هذه العمليات والسلوكيات بين الأفراد والأصدقاء ، إلا أنه بعد عدة سنوات فقط من إنشائها أخذت تخرق - بالإضافة إلى الجوانب الاجتماعية - عموم القطاعات المختلفة السياسية والاقتصادية والدينية وغيرها... (١) .

وقد استطاعت مواقع التواصل الاجتماعي أن تفرض نفسها بقوة عالمياً ، حيث أصبحت مصدرًا مهمًا للصحفيين ووسائل الإعلام المختلفة ، والقنوات الفضائية التي باتت تنقل ، وتهتم وتتعرف على اتجاهات الرأي العام والتنسيق مع الصحفيين ، والمهتمين والدارسين والكثير من المسؤولين بشأن قضايا المجتمع (٢) .

(١) انظر : نظرة الإعلام الاجتماعي في العالم العربي ٢٠١٤م، كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية، نادي دبي للصحافة ، ص ٢٥ وما بعدها بتصرف .

(٢) انظر: هناء سرور: جلسة وسائل التواصل الاجتماعي وإثراء المحتوى القومي للتنمية الاقتصادية العربية الشاملة، محور: تأثير وسائل التواصل الإلكتروني في التطور الاجتماعي الاقتصادي، عن جامعة الدول العربية.

أكثر الأنشطة شيوعاً في مواقع التواصل الاجتماعي:

تُعدُّ مواقع التواصل الاجتماعي ذات أثر بالغ في تكوين الرأي العام ، وتغيير مساراته لاسيما في المجتمعات النامية من خلال خلق جمهور واعٍ يستطيع حل مشكلات مجتمعه ، ومعالجة القضايا المهمة ، بل يخلق لديهم الرغبة في المشاركة في الأحداث القومية والعالمية ، وتنمية القيم الأخلاقية والاجتماعية والثقافية والقومية والدينية ... حتى يخاطب المجتمعات الغربية، بمفهوم حضاري يتناسب مع أخلاقه وقيمه ، حيث إن مواقع التواصل الاجتماعي هي القاعدة الأهم في تغيير وجهة النظر الغربية ، لأنها تخاطب الشعوب والأفراد دون وسيط .

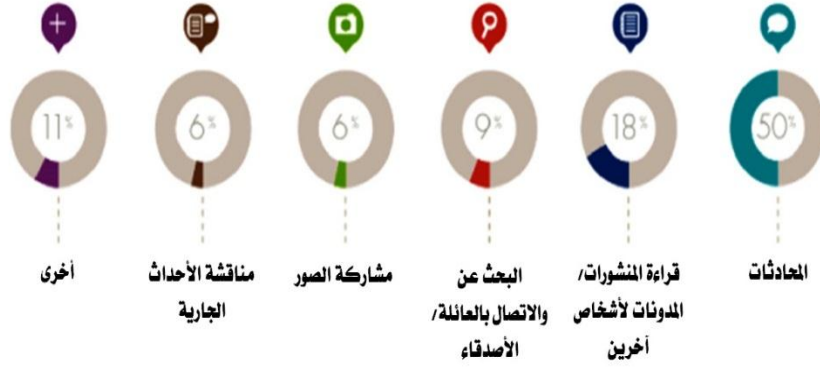
وقد برزت خطورة الدور الذي تلعبه ثورة الاتصال الجديدة من خلال تأثيرها الواضح على الشباب والأطفال ، فهناك بعض الجهات والمنظمات والجمعيات تقوم بتمويل مواقع إلكترونية أو صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي ، وذلك بهدف الترويج للأفكار الهدامة التي لا تمت بصلة إلى احترام التنوع الثقافي والحوار العادل بين الشعوب ، إن قوة وشراسة هذه الثورة الرقمية تضع أمام العالم العربي والإسلامي أحد أكبر التحديات التي تواجهه في هذا القرن ، وسيكون من الخطأ الاعتقاد بأنه قادر على إيقاف هذا الطوفان المعلوماتي ، لأن الإعلام الرقمي يغزو العالم دون حدود ، ولعل

مواجهة هذه الثورة المهددة لمبدأ احترام التنوع الثقافي بوصفه أساسًا للحوار والسلم ، لا يمكن أن تتم إلا من خلال اتخاذ عدة تدابير؛ يكون فيها للإعلام البديل دور حاسم ، من شأنه أن يجعل للعرب والمسلمين موطنًا قدم في هذه الثورة الرقمية ، فلا بد من إنتاج محتوى رقمي عربي إسلامي ذي وجه ثقافي وحضاري وإنساني ، فعلى سبيل المثال؛ تعتبر اللغة العربية خامس لغة من حيث الاستعمال في العالم ، ولكن المحتوى الرقمي المكتوب باللغة العربية يشكل فقط ١٪ من محتوى شبكة الإنترنت، في حين أن اللغة الإنجليزية تشغل ٩٠٪ من هذا المحتوى ، وهذا يستلزم الشروع في صناعة محتوى ذي أبعاد ثقافية وعلمية واجتماعية ، وهي صناعة تتطلب تطوير البنى الاستراتيجية ، وتشجيع المشاريع الرائدة ، ومراعاة المعايير العالمية في مجال التقنية والتسويق^(١) ، من خلال رصد أكثر الأنشطة شيوعًا وانتشارًا بين المستخدمين في مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي ، ومثال ذلك ماهو مبین بالرسم التوضيحي الصادر عن قمة رواد التواصل الاجتماعي العربي سنة ٢٠١٥م^(٢).

(١) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو: الأدوار الثقافية للمجتمع المدني من أجل

تعزيز الحوار والسلم ، المملكة المغربية ، ٢٠١٣م ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) تقرير وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي ، ص ٣٣ .



ولا شك أن قيام الإعلام الشرقي والغربي بدوره في التعريف الجاد والحقيقي بالآخر وحضارته ؛ من شأنه أن يؤدي إلى تأكيد قيمة التسامح الإيجابي إزاء الآخرين ، وليس مجرد التسامح الحيادي ، وهذا يؤدي إلى الإقرار بالتعددية الحضارية ، وإلى احترام حضارة الآخر وثقافته مهما يكن مستواه من الرقي المادي ، ويؤدي إلى مزيد من التعرف وتفهم الظروف المحيطة ، والابتعاد عن الأحكام المسبقة والمفاهيم المغلوطة على كلا الجانبين^(١).

(٣) المؤسسات الثقافية

إن من شأن تعزيز قيم الحوار بين الثقافات والحضارات مواجهة التيارات العنصرية من خلال جهود المجتمع الدولي بمؤسساته وهيئاته

(١) أ.د/ آمنة نصير : حوار الحضارات من أجل الإنسان .. تواصل لا تصادم، سلسلة قضايا

إسلامية، العدد: ١١٩، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١١٠ .

الثقافية المختلفة ، بما يبني جسور التفاهم بين الأمم والشعوب ؛ فتتشر ثقافة التسامح والتعايش والوئام ، سعياً لبناء السلام العالمي على قاعدة القانون الدولي والقيم الإنسانية الخالدة ، التي هي القاسم المشترك بين الأديان والثقافات والحضارات جميعاً^(١).

دور الهيئات والمنظمات في تطوير الحوار الثقافي:

تعد الهيئات والمؤسسات والمنظمات الثقافية العربية بمثابة آلية مهمة لتعزيز الحوار مع المؤسسات والهيئات الثقافية الغربية المناظرة ، ومهمتها الأساسية: تهذيب الاختلاف ، والحيلولة دون تحوله إلى خلاف يؤدي إلى النزاع والتصادم ، ومن ثم إلى الحروب ، وإثبات أن التنوع ليس تهديداً ، إذ القاسم المشترك الإنساني العام هو ما يجب التركيز عليه في مثل هذا الحوار ، عبر تواصلٍ مستمر بمختلف الآليات ؛ لمعرفة كيفية تفعيل ذلك المشترك مع الحفاظ على خصوصيات كل مجتمع إنساني^(٢).

لكن يجب أن نأخذ في عين الاعتبار أن الحوار بين الثقافات لا تكتمل عناصره إلا إذا توافرت له شروط التكافؤ ، والنديّة ، والإرادة المشتركة ، والاحترام المتبادل ؛ فالحوار على أي مستوى وحول أي موضوع كان ، لا يكون من طرف واحد ، وإنما يتم بين طرفين يملك كلاهما إرادة الحوار ،

(١) انظر: د/ عبد العزيز التويجري: حوار الثقافات والحضارات لمواجهة العنصرية، ص ٨.

(٢) انظر: د/ هنية مفتاح القماطي: أزمة الحوار الحضاري في عصر العولمة، ص ٩.

وإلا كان فرضاً للهيمنة ، وممارسة للسيطرة التي هي المدخل إلى الغزو الثقافي^(١) ، وكما يقول رجاء جارودي : «لا يمكن أن يقوم الحوار حقيقة إلا إذا اقتنع الجميع بأن هناك ما يمكن أن يتعلموه من الآخرين»^(٢).

وقد بادر العرب والمسلمون في العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، وبشكل مكثف في بداية القرن الحادي والعشرين إلى طرح قضية الحوار مع الغرب بإلحاح وجدية ، ولم تقتصر مبادرات الحوار مع الغرب على الدوائر الرسمية العربية والإسلامية ، بل تعدتها إلى المكونات الفاعلة في المجتمع الأهلي ، وعدد من الشخصيات الثقافية والفكرية ، وذلك لإدراكهم ووعيهم بأهمية هذا الموضوع.

ومن الهيئات التي أظهرت جهداً كبيراً في موضوع الحوار الثقافي مع الغرب بمستوياته المختلفة الحضارية والثقافية:

١- منظمة المؤتمر الإسلامي، وذراعها الثقافي (المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم - إيسيسكو).

٢- الجامعة العربية ، ونافذتها الثقافية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ألكسو)، بالإضافة إلى بعض هيئات المجتمع الأهلي والمدني، وعدد من الحكومات العربية والإسلامية^(٣).

(١) د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري: حوار الثقافات والحضارات لمواجهة العنصرية ، ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٣) انظر: د/ إحمد جبرون: تجربة الحوار الثقافي مع الغرب قراءة تقييمية ونموذج مقترح ، ص ٣٠ .

٣- وزارات الثقافة ، ودورها الكبير في تعزيز الحوار؛ فهي تهتم بكل ما يخص الثقافة سواء في الشرق أو الغرب، وتقوم بترجمة الكتب لتسهيل الحصول على المعلومات وبناء المعرفة، فتترجم كتب الأدب العالمي، والفن، والعلوم ، والتاريخ ، وغيرها ، وتمتد جسور الثقافة بين الشعوب المختلفة عن طريق عقد بعض المؤتمرات الدولية لمناقشة أهم قضايا الحوار .

وفي إطار البرنامج المعرفي الذي تبنته وزارة الثقافة المصرية من خلال مكتبة الإسكندرية ، كان هناك اهتمام خاص بالتراكم المعرفي في موضوع حوار الحضارات ، ويتمثل هذا الاهتمام في الحرص على الانفتاح المصري على العالم بكل جوانبه الفلسفية والعلمية والحضارية ، وقد تم بالاتفاق بين المكتبة وبين الجمعية اللاتينية التي يرأسها «فريدريك مايور» سكرتير عام اليونسكو السابق عقد مؤتمر دولي عن حوار الحضارات في الإسكندرية في أبريل ٢٠٠٤م^(١) ، وكذلك المؤتمر الدولي السابع لوزراء الثقافة والذي عقد في الثامن عشر والتاسع عشر من ديسمبر لعام ٢٠١١م في دولة الجزائر، تحت شعار (من أجل تعزيز نتائج السنة الدولية للتقارب بين الثقافات وتفعيل دور الشباب في بناء ثقافة السلم والحوار)، تحت رعاية منظمة الإيسيسكو ، وغيرها من المؤتمرات والفعاليات المتعلقة بترسيخ ثقافة الحوار الثقافي البناء مع الآخر .

(١) أ.د/ آمنة نصير: حوار الحضارات من أجل الإنسان .. تواصل لا تصادم، ص ١١١ .

سبل تعزيز المؤسسات الثقافية للحوار:

تختلف طرق تعزيز الحوار الثقافي باختلاف العصر؛ ففي العصر الحديث أدت الطفرة التكنولوجية الهائلة، إلى فتح مجالات عديدة يمكن من خلالها التواصل مع الآخرين أيًا كان موقعهم في وقت قصير، وبأكثر من طريقة، منها: الإنترنت، والترجمة.

١- تعزيز الحوار الثقافي من خلال الإنترنت:

يعتبر الإنترنت أو الشبكة العنكبوتية وسيلة أساسية للتواصل في عصرنا الحالي؛ فالتقارب الإنساني الذي حدث من خلاله ودوره في تبادل الثقافات وأنماط السلوك؛ جعل الناس ينظرون للعالم على أنه قرية صغيرة^(١).

فأصبح الإنترنت الأداة الأسرع التي يمكن من خلالها نشر مقالات باللغات الأجنبية المختلفة؛ لتوضيح أهم معالم ثقافتنا وتصحيح المفاهيم المغلوطة لدى الغرب عن الشرق العربي، بالإضافة إلى المجالات العلمية التي يمكن ترجمتها إلى اللغات المختلفة ونشرها على مواقع الإنترنت، كما أنه أصبح من السهل أن تتواصل الهيئات والمنظمات والمؤسسات المعنية بمد جسور الثقافة مع نظيراتها في الغرب من خلاله، لعقد المؤتمرات، وطرح الموضوعات الجديدة التي تهم الطرفين.

(١) أ.د/آمنة نصير: حوار الحضارات من أجل الإنسان .. تواصل لا تصادم، ص ٨٤.

٢- تعزيز الحوار الثقافي من خلال الترجمة:

تتبع الترجمة مكانة خاصة من الناحية الحضارية باعتبارها وسيلة أساسية وحاسمة في التورث الحضاري ، وتظهر قيمتها وآثارها الإنسانية في لحظات الانتقال الحضاري الكبرى على مستوى الإنسانية جمعاء ؛ فعلى سبيل المثال أسهمت الترجمة اللاتينية للمنجز الحضاري الإسلامي في شتى الميادين في التأسيس للحضارة الغربية ودعم انطلاقتها في عصر النهضة ، كما أسهمت الترجمة العربية للتراث اليوناني والخبرة الحضارية الفارسية واليونانية في دعم الحضارة الإسلامية ورفقيها ، ونفس الشيء يقال عن اليابان والاتحاد السوفيتي في النصف الأول من القرن العشرين^(١).

وفي الحقيقة الترجمة الفورية لها عامل كبير في تعزيز الحوار ؛ لأنها توجب على الطرفين الاحتكاك بأهل اللغة أنفسهم من أجل إتقان لغتهم ، فتكون فرصة كبيرة لكل منهما أن يتواصل بطريقة مباشرة مع الآخر، إذ اللغة ليست مجرد أداة للاتصال ، بل هي تمثل النسيج الحقيقي لأشكال التعبير الثقافي ، وهي الحامل للهوية والقيم ورؤى العالم ، ويعتبر كثيرون أن حيوية اللغة معيار يقاس به التنوع الثقافي^(٢).

(١) حوار الحضارات من أجل الإنسان .. تواصل لا تصادم، ص ٩٢.

(٢) انظر: تقرير اليونسكو العالمي ، الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات ، ص ١٣.

هذا بالإضافة لما يؤدي إليه عدم وضوح اللغة من سوء تفاهم بين الطرفين ويعيق عملية التواصل بينهما، ولذا شرط لبلوغ الغاية والهدف في الحوار وضوح لغة المصطلحات المتداولة بين الأطراف المتحاوره^(١)، الأمر الذي يوجب علينا أن نهتم بتعلم اللغات الأجنبية اهتماماً بالغاً؛ لأنها هي الوسيلة الأولى للتواصل مع الغرب؛ وإطلاعهم على الثقافة العربية في حقيقتها ونقائنها، والتعامل مع أهلها مباشرة دون الحاجة إلى وسيط، ومن ثم سيكون التواصل المباشر مع الغرب أكثر سهولة ويسر.

لا شك أن الترجمة من أهم الوسائل التي يمكن استخدامها من أجل التبادل الثقافي بين الشعوب، وذلك عن طريق نقل خبراتهم في شتى المجالات، كما أنها تتيح لكل من الطرفين (الشرق والغرب) أن يبين كل منهما للآخر مقصده وفكره، وتصحيح الأخطاء والمفاهيم المغلوطة التي رسخت في أذهانهم؛ والتي كانت من أهم معوقات الحوار الثقافي بينهما.

٣ - تعزيز الحوار الثقافي من خلال التواصل مع المؤسسة الاستشراقية: يجب على المؤسسات الثقافية في العالم العربي أن تقيم حواراً بناءً مع المؤسسة الاستشراقية الغربية، لأن ذلك يدعم الحوار الثقافي العربي الإسلامي مع الغرب المسيحي، ولأن الدراسات الاستشراقية تدلي برأيها في

(١) د/ هنية مفتاح القماطي: أزمة الحوار الحضاري في عصر العولمة، ص ٣.

خصوصيات الحضارة العربية والإسلامية ، وتُعدُّ هذه الدراسات أهم المكونات لتصورات المؤسسات الدينية والمدنية الغربية عن الشرق^(١).

(٤) المؤسسات التعليمية :

يتزايد اهتمام المجتمع الدولي بدعم الجهود المبذولة لتعزيز الحوار بين الثقافات والتعايش بين الشعوب حرصًا على بناء مجتمع تسوده قيم التسامح المبني على الاحترام المتبادل ، وعلى اعتماد مبادئ الحق والعدل والمساواة وحقوق الإنسان قاعدة ومنهجًا للعلاقات الدولية ؛ ليكون طوق نجاة للإنسانية مما تتخبط فيه من أزمات ومشكلات تهدد الأمن والسلم في العالم^(٢)، وهو ما عبّر عنه بمصطلح استثمار الرصيد الثقافي المشترك ، حيث إن التعايش السلمي ذا المنزغ الثقافي والحضاري هو المدخل إلى الحوار والتقارب ، وهو السبيل إلى تبديد غيوم الشك وسوء الفهم^(٣).

إن الوعي بالمشترك الأخلاقي والإنساني والقيمي هو في حقيقته التحقيق العملي لثقافة الحوار ؛ ذلك أن جموع البشر عليهم العيش على نفس الكوكب مع ما يحتمه هذا - مع تقارب المسافات بفعل التقدم التقني في وسائل المواصلات والاتصال - من ضرورة التعاون ، فالواقع يُبين لنا أننا

(١) أ.د/ محمود حمدي زقزوق : الحوار الإسلامي المسيحي، ص ١٨ - ١٩ .

(٢) انظر: د/ عبد العزيز التويجري: حوار الثقافات والحضارات لمواجهة العنصرية، ص ٧.

(٣) المرجع السابق ص ١٣ .

نعيش في جوار مع الآخرين ، وأن الحواجز في هذا الحوار آخذة في التلاشي شيئاً فشيئاً بفعل التقدم التقني؛ وهو ما يجعل من الحوار أمراً حتمياً ، ويمثل فرصة للفهم المتبادل والتعاون المشترك ، وهو بدوره ما يتطلب أن تسير محاولات تأكيد الذات الحضارية جنباً إلى جنب مع الجهود الرامية لتوسيع آفاقنا الفكرية ؛ ذلك أن مجرد إبراز أخطاء الآخرين فقط يؤدي إلى نظرة متعالية تتسم بالغطرسة ، وهو الأمر الذي يؤدي بدوره إلى إفشال الحوار وتفريغته من مضمونه ، ولنا في هذا المقام أسوة بالإمام الشافعي الذي كان يقول: رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأً يحتمل الصواب^(١).

إن دائرة المشكلات التي نواجهها شرقاً وغرباً قد اتسعت ، وسقف الآمال والرغبات التي نبتغي تحقيقها قد ارتفع؛ بحيث استحال على حضارة واحدة أن تعيش منفردة بمعزل عن الآخرين ، وأن تُقصي غيرها.

ولا شك أن المؤسسات التعليمية في الشرق والغرب يقع على عاتقها تبني مناهج وسياسات تعليمية تُنبه على هذا المشترك الأخلاقي والإنساني والقيمي ، وتؤكد أهميته وضرورته ، إذ ضده هو الانقسام والتفرق والتشردم ، مع ما فيه من تحفيز إحياء الصراعات وتأجيجها.

والوعي بالمشترك يقتضي منا البحث والتقصي «حول ماذا يعني المشترك ، وما هي حدوده وإمكانياته وغاياته ، والوعي بأهمية دور المشترك

(١) انظر: أ.د/ محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار، ص ٤٥.

بين البشر ، ومعرفة ما يجمعهم وكيفية تجاوز ما يفرقهم ، فهو المشاركة التي تعني الندية مقابل الهيمنة والسيطرة ، حرصًا على تحقيق التلاقي والقبول والتقبُّل مقابل الصدام والصراع^(١) ؛ ذلك أن معرفتنا العميقة بالقيم التي تمثلها حضارة الآخرين يمكن أن تفتح الطريق أمام الحوار الحضاري ؛ لأنه السبيل الوحيد الذي يبين لنا أن مساحة المشترك مع الآخر في القيم الحضارية والثقافية أكبر وأوسع من مساحة المختلف فيه ، وهذا يؤدي إلى احترام الآخرين^(٢).

والقضية الأساسية التي تمثل برنامج بحث كرسي اليونسكو للفلسفة في العالم العربي بتونس كانت «عن مفهوم جمالية العيش المشترك، وسعادة التحوار مع الغير دون أن يفقد المرء هويته ونمط وجوده في العالم، ضمن التآلف والانسجام الذي لا يعبر فقط عن عدالة مصحوبة بالحكمة والحب ، ولكن أيضًا عن الوفاق الممكن بين الأشخاص ، فهو يعبر عن إنسانية قوامها حق الاختلاف والاحترام والمحبة»^(٣)، ويبنى هذا البرنامج

(١) د/ أحمد عبد الحليم عطية: وعي المشترك الديني (الأخلاقي والإنساني والقيمي)، كتاب المؤتمر الدولي الأول الذي عقدته كلية الأديان والعلوم الإنسانية بجامعة المعارف بالتعاون مع الجمعية اللبنانية لتقدم العلوم، بعنوان: "ثقافة الحوار بين الأديان" المنعقد ببيروت في سبتمبر ٢٠١٧م، ص ٢٨٨.

(٢) انظر: أ.د/ محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار ، ص ٤٧ .

(٣) د/ أحمد عبد الحليم عطية: وعي المشترك الديني الأخلاقي والإنساني والقيمي، ص ٢٩٦ . وانظر: د/ فتحي التريكي: جماليات العيش المشترك، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ، ص ٥-٦ .

على ضرورة أن يكون هناك توافق واع ، نتيجة تبادل مشترك بين الأنا والآخر؛ ليشكل الأرضية الرئيسة للعيش سويًا ، فلا وجود لحياة مشتركة دون توافق وحوار^(١).

كما يقع على عاتق المؤسسات التعليمية ، والجامعية منها على وجه الخصوص ، أن تربي طلابها على الحوار المستدام ، ذلك لأن مهمتها ليست فقط تنشئة الفرد المتعلم والمهني الكفاء، «بل التنشئة على المواطنة في مجتمع تعددي ... عبر توطيد أواصر العيش المشترك الثقافي والديني بين الأفراد والمجتمعات ، فلا بد أن تكون رسالة المؤسسة التعليمية ، ... العمل على تشكيل مجتمع عادل ومرن وملتزم يستطيع مواجهة التحديات وتصحيح المفاهيم المغلوطة التي تهبُّ من كل حدبٍ وصوب ، والتي لا تكثرث للقيم الإنسانية والروحية ، إنها مهمة المؤسسة التعليمية في بناء جسور التواصل مع الذات ومع الآخرين ، وهي جسور تجعل المستقبل أكثر أمنًا ومساواة ومشاركة في بناء المصير المشترك»^(٢).

ولا تزال العملية التربوية والتعليمية وستبقى بحاجة إلى جهود كبيرة ، ذلك أن بلدان العالم عمومًا تمر بأزمة تربوية حادة ، تتمثل في عجز

(١) د/ أحمد عبد الحلیم عطية: وعي المشترك الديني الأخلاقي والإنساني والقيمي، ص ٢٩٧.

(٢) د/ سليم دكّاش: دور المؤسسات التعليمية: كتاب المؤتمر الدولي الأول الذي عقدته كلية الأديان والعلوم الإنسانية بجامعة المعارف بالتعاون مع الجمعية اللبنانية لتقدم العلوم، بعنوان: «ثقافة الحوار بين الأديان» المنعقد ببيروت في سبتمبر ٢٠١٧م، ص ٢٥٩.

الأنظمة التعليمية عن تنشئة الفرد بطريقة تتمثل فيها الأهداف الإنسانية الكريمة التي يجرى تحديدها^(١).

فلا يقتصر التعليم على كونه نقلاً للمعرفة وتطويراً لأفكار موحدة حول المهارات السلوكية والاجتماعية ، وإنما يتعلق أيضاً بنقل القيم؛ ولذا فلسياسات التعليم أثرها الفعال في ازدهار التنوع الثقافي أو اضمحلاله، ويتعين أن يُمكننا التعليم من اكتساب المقدرة على التعامل بين الثقافات المختلفة، وهو ما يؤدي بنا إلى العيش بسلام رغم الفوارق الثقافية، حتى أن الأمم المتحدة ضمته إلى المبادئ الأربعة التي حددتها اللجنة العالمية المعنية بالتعليم في القرن الحادي والعشرين ، وهي التعليم من أجل: أن تكون ، وأن تعرف ، وأن تفعل ، ومن أجل العيش المشترك ، وهادفاً من ذلك إلى: التمكين لحقوق الإنسان ، وتعزيز المواطنة الديمقراطية ، والنهوض بالتنمية المستدامة^(٢).

ومن أهم التحديات التي تواجه التعليم المستدام في المجتمعات متعددة الثقافات تعلم العيش معاً، ولذا فإن التعليم متعدد الثقافات ينبغي أن يشمل على: تعلم الآداب والعلوم الإنسانية ، والأنشطة متعددة

(١) انظر: د/ فتحي حسن ملكاوي: بحوث المؤتمر التربوي، مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، الجزء الأول، عمان، جامعة اليرموك، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، ص « ي » بالمقدمة.

(٢) انظر: تقرير اليونسكو العالمي الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات، ص ١٥ - ١٦.

الوسائط كالمتاحف والسفر؛ لأهميتها في بناء الشخصية النقدية القادرة على التعامل مع وجهات النظر أحادية الطرف ، والمتكيفة مع البيئات الاجتماعية المتباينة ثقافيًا ، ذلك أن التعايش - في جو من التسامح - مهارة من المهارات التي تحتاج للممارسة كي تثبت وتتحوّل إلى سلوك^(١).

ومن المبادئ التأسيسية لليونسكو: أن التعليم هو الأساس لمواجهة الجهل وانعدام الثقة، وأنهما مصدران للنزاع بين البشر، وأن الانفتاح الثقافي هو مفتاح الحوار بين الثقافات ، وأن العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية تشجع الدارسين على تفحص ما لديهم من تحيزات فيعيدوا النظر فيما لديهم من افتراضات ، ويمكن لإدراج الأديان والمعتقدات العالمية في المناهج الدراسية أن يساعد على تبديد الكثير من أوجه سوء التفاهم التي تجعل العيش معًا مسألة صعبة ، كما تعتبر الآداب العالمية أداة قوية لتعزيز التفاهم المتبادل والسلام بين أهل الثقافات المتنوعة ، عن طريق التفاعل الاجتماعي مع الآخرين ، وتشجيع الانفتاح بين الثقافات، والتصدي للتحيز والنمطية والعنصرية^(٢).

وقد بادرت عدة لجان لليونسكو لبناء الظروف المواتمة للحوار الأوروبي - العربي في مجال التعليم ؛ تماشيًا مع ما ورد بميثاق الأمم المتحدة واليونسكو من دعوة إلى توطيد دعائم السلام بين الشعوب واحترام التنوع

(١) تقرير اليونسكو العالمي الاستشاري في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات ، ص ١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨ .

الثقافي، وذلك بإجراء دراسات تُسلط الضوء على الأفكار النمطية وأشكال سوء الفهم والمواقف المضمرة التي تنطوي عليها محتويات الكتب المدرسية في البلدان الأوروبية فيما يتعلق بالبلدان العربية ، والكتب المدرسية في البلدان العربية فيما يخص البلدان الأوروبية ، بغية رصد الأفكار النمطية والصور المبتذلة التي في الكتب المدرسية ؛ ذلك أن الكتاب المدرسي يضطلع في الحقيقة بدور أساسي في تكوين مواطن المستقبل ، حتى لا تقف أمثال هذه الأحكام المسبقة السلبية حجر عثرة ، فتعيق قيام تفاهم أكثر انفتاحاً وأحرص على الموضوعية بين الشرق والغرب ، ويُعد تنقيح الكتب المدرسية هو الخطوة الأولى يستتبعها خطوة أكبر هي تحرير المناهج التعليمية لدى كل منها من الأحكام السلبية المسبقة المبنية على تحيزات عنصرية^(١).

ومن هنا ؛ يجب أن نغرس التسامح الديني في قلوب وعقول أبنائنا في المدارس والجامعات من خلال المناهج الدراسية ؛ حيث إن الدين أتمى من أجل خير الإنسان وسعادته في العاجل والآجل ، والقيم الدينية في كل حضارة كانت هي الأساس للقيم الأخلاقية السامية والمبادئ الإنسانية الرفيعة، ومن هنا فإن الحوار حول ما يجمع من قيم إنسانية مشتركة هو

(١) انظر: جاكلين كوستا-لاسكو وجانين دارتوا: دراسة مقارنة للكتب المدرسية في إطار الحوار

الأوروبي - العربي، مراجعة: أمينة الهمشري، بمساعدة ماييتي باتينا وكانديس التايير،

اليونسكو، ٢٠١٣م، ص ٥ - ٦.

أفضل السبل لتفهم كل جانب للآخر ، والتعاون البناء من أجل خير الإنسان وتقدمه، واستقرار الأمن والسلام في العالم^(١) .

ومن البرامج المقترحة لتعزيز ثقافة الحوار بين الشرق والغرب إقامة برامج تعليمية متبادلة في المرحلة الجامعية ، حتى يتعرف الطالب على حقيقة التصورات التي لديه تجاه الآخر ، على أن يكون ذلك تحت إشراف أساتذة تهتم بإرشاد الطلبة إلى أهمية التواصل بين الأفراد وأخلاقياته ، وعلى أن يشتمل البرنامج أيضاً على إرشادٍ إلى تقنيات حل النزاعات بين الأفراد ؛ إذ إنه في أي مجتمع بشري ، كما أن التواصل حاجة بشرية في كل إنسان ، فالنزاع عارضٌ متوقعٌ أيضاً ينبغي الاستعداد له.

وإذا كان الحوار في حقيقته مهارة من المهارات التي تحتاج إلى الممارسة لكي تثبت وتتحول إلى سلوك ، فإن هذه الممارسة تحتاج إلى تهيئة الأجواء للتدريب عليها ، ذلك أن السلوكيات التي تندرج تحت مفاهيم : العنف ، والسيطرة قد تفاقمت في الآونة الأخيرة ، هذا إضافة لما في تعقد إيقاع الحياة وحدتها من الضغوط التي تعاضمت ، مما أدى إلى عدم القدرة على التكيف مع الظروف الحياتية والأوضاع المجتمعية بين أبناء شعوب العالم بدرجات متفاوتة ومظاهر مختلفة ، وأدى إلى حالة الاغتراب

(١) أ.د/ محمود حمدي زقزوق : الحوار الإسلامي المسيحي، ص ١٦ .

المجتمعي، ونمو ظاهرة العنف بين البشر بعضهم وبعض^(١).

ونظراً لكل ما سبق فإن ترك مسألة اكتساب مهارات الحوار كي تنمو وفقاً للمحيط التقليدي لن تثمر الثمرات المرجوة؛ لأن عوامل التشرذم والتفكك السالفة تفعل فعلها في الأفراد، ولا تجد ما يكبحها أو يخفف من غلوئها، ولذا فوضع مسألة الحوار من حيث هو ضمن المناهج التعليمية أمر بالغ الأهمية، وهو الأمر الملاحظ في تجربة الحوار الأوروبية، فمنذ أن اعتبر الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠٨م عامًا للحوار بين الثقافات، فإنه جعل له مجموعة من الأهداف أبرزها: تشجيع الحوار الثقافي باعتباره وسيلة أساسية لمساعدة أفراد الاتحاد الأوروبي على اكتساب المعارف، والمؤهلات، والمهارات الضرورية؛ لمواجهة محيط شديد الانفتاح وبالغ التعقيد، وتأهيل الفرد معرفيًا ومهاريًا ووجدانيًا؛ لاستغلال الإمكانيات التي تدخلها العولمة من جهة، ومن جهة أخرى تأهيله للتأثير في العالم من خلال ما يسمى بالقيم المشتركة^(٢).

(١) انظر: د/ أحمد مجدي حجازي، المثقفون العرب وأزمة الحوار.. رؤية في عنف الحوار والمدر الثقافي، ضمن فعاليات ندوة: التنوير والتسامح وتجديد الفكر العربي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، قرطاج، فبراير ٢٠٠٥م <https://search.mandumah.com/record/624059>، ص ١٠٨ بتصرف.

(٢) انظر: د/ محمد جبرون، تجربة الحوار الثقافي مع الغرب قراءة تقويمية ونموذج محل مقترح، ص ٤٨-٥٠.

(٥) قنوات التواصل الشعبي :

تتميز قنوات التواصل الشعبي عن الدبلوماسية الرسمية بأنها معنية بمجالات التعاون المباشر الناجم عن الاحتكاك بين الأفراد والجماعات في مناحي الحياة المختلفة ، وبإمكانها تعديل وتوجيه الرأي العام الخارجي، وتصحيح الصورة الذهنية عن الشعوب ، فالعلاقات الثقافية التي تقيمها القنوات الشعبية يمكن استثمارها في تعزيز الحوار بين الشرق والغرب ، وهذه القنوات تشمل عنصرين رئيسيين هما : الجاليات ، والسياحة.

أولاً : الجاليات :

الجالية : هي جماعة من الناس من موطن واحد تعيش في وطن جديد غير وطنهم الأصلي، والجمع: جاليات وجَوَالٍ^(١).

ويقصد بالجاليات: «المهجرات البشرية المحدودة العدد التي احتفظت في البلاد التي انتقلت إليها بطوابعها الخاصة، لأسباب قومية أو دينية، وبارتباطها بالوطن الأم الذي خرجت منه»^(٢)، مثل العرب المهاجرين إلى الدول الغربية بغرض العمل ثم استقروا في بلد المهجر، وأيضاً الطلاب الذين سافروا لاستكمال دراساتهم في تلك الدول وأقاموا هناك ، سواء تجنّسوا بجنسية البلد

(١) أ.د/ أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، ص ٣٨٨ .

(٢) جميلة عبد القادر الرفاعي: فقه الأقليات والجاليات الإسلامية المتعلق بعبادة الصلاة ، مجلة

دراسات علوم الشريعة والقانون ، مج ٣٢ ، العدد : ١ ، ٢٠٠٥ م ، ص ٢٤٣ .

المقيمين فيه أم لا^(١)، وغالبًا ما تلتزم الجاليات في أي دولة بعاداتها وتقاليدها ولا تذوب في المجتمع الذي تعيش فيه.

وقد تغير ظروف الهجرة بعض الأشخاص وتحوّلتهم إلى أناس مغتربين فكريًا وسلوكيًا، أي تجعلهم يعيشون بكل مواقفهم حالة من الاغتراب الثقافي والفكري، فينسلخون من ذاتيتهم ويذوبون في المجتمع الذي يقيمون به، ولكن هناك فئة من المهاجرين تظل على تماسكها بذاتها نتيجة الشعور بالانتماء والمواطنة، لذلك لا تحوّلها الغربة عن الوطن الأم، بل تجعلها أكثر حنينًا إليه وارتباطًا برموزه، فيدفعها ذلك إلى التمسك الشديد بالقيم الروحية والوطنية، والحرص على خدمة الوطن والدفاع عن قضاياها بشتى السبل^(٢).

أ - التحديات التي تواجه الجاليات العربية:

توجد جاليات عربية في دول عديدة في العالم، هذه الجاليات بإمكانها أن تلعب دورًا كبيرًا في إنشاء قنوات حوار وتفاهم مع الآخر، وبإمكانها

(١) محيي الدين عبد الحلیم: الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية، بحث ضمن أبحاث المؤتمر الرابع عشر بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بعنوان: حقيقة الإسلام في عالم متغير، مصر، مارس ٢٠٠٣م، وانظر: موقع قصة الإسلام: قصة الإسلام في أوروبا، ١٧/٧/٢٠٠٨ . <http://islamstory.com>

(٢) عبد القادر فضيل: الإضافات الثقافية والحضارية للهجرة، ندوة تعليم العربية لأبناء الجاليات العربية في أوروبا الواقع والآفاق، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ووزارة الشؤون الاجتماعية، ووزارة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي، تونس، ديسمبر ١٩٩٠م، ص ٩٢.

كذلك تقديم الصورة الحقيقية للعرب والمسلمين من خلال الرد على الحملات الدعائية ، والصور النمطية والتغطيات الإعلامية المسيئة للعرب^(١).

غير أن هناك بعض التحديات التي تواجه الجاليات عمومًا ، والجاليات العربية على وجه الخصوص ، وتعوق مسيرتهم في تعزيز الحوار بين الشرق والغرب ، من بينها :

- انعكاس الأزمات الداخلية التي تمر بها المنطقة العربية على نشاط الجاليات العربية في الخارج ، وتأثير الخلافات الإقليمية على طبيعة العلاقات فيما بين أبناء العالم العربي ، بالإضافة إلى الخلافات المحلية لدى أبناء البلد الواحد بناءً على انتفاءات مذهبية ، ودينية ، وقبلية ، وفكرية ، رافقتهم في بلاد المهجر ، مما أدى إلى افتقاد الجاليات العربية في الغرب لمنهجية عمل مشتركة^(٢).

- مساهمة بعض العناصر العربية في المهجر في تغذية الانطباعات السلبية لدى الغرب عن العرب ، ويتجلى ذلك بالدرجة الأولى في وجود

(١) محمد قيراط : الإعلام العربي الموجه للآخر والحوار بين الإسلام والغرب، ورقة مقدمة إلى ندوة : الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ١٦ - ١٨ من أبريل ٢٠٠٧م، ص ٢١ .

(٢) سلام الكواكبي : الجاليات العربية في أوروبا ومدى اندماجها في المشهد المدني والسياسي، شئون عربية، العدد: ١٤١، جامعة الدول العربية، ٢٠١٠م، ص ١٠٨ - ١١٠ .

شريحة من العرب ترفض التواصل مع الغرب ابتداءً وربما ردًا على موقف متطرف من بعض الغربيين، كما تتبنى أفكارًا متشددة أو متطرفة بالتبادل مع الغرب، مما يحول بينها وبين التواصل والاندماج^(١).

- معاناة الجاليات العربية في عدد من الدول الغربية من الصورة السلبية للعرب، وغالبًا ما يشير الإعلام الغربي بأصابع الاتهام إلى الجاليات المهاجرة^(٢).

- افتقار الجاليات العربية في المجتمعات الغربية إلى أطر تنظيمية تعكس حجمها العددي الكبير، وتساعد على الدفاع عن شخصيتها الثقافية، ولا يعني ذلك أن الجاليات تفتقر إلى وجود الجمعيات الأهلية والنوادي الثقافية فهناك عشرات النوادي والجمعيات الصغيرة في كل بلد وفي كل مدينة أحيانًا، ولكنها تعمل في نطاق ضيق، وتحتاج إلى تنظيم واسع^(٣) يمكن أبناء الجالية العربية، بالمشاركة في وضع أسس وركائز قوية لبناء حوار ثقافي عربي بين الشرق والغرب، يجمع ولا يفرق، يبني ولا يهدم.

(١) انظر: د / إحمد جبرون : تجربة الحوار الثقافي مع الغرب قراءة تقويمية ونموذج مقترح ، ص ١٠٨ .

(٢) مختار مفتاح السنوسي : الإعلام الدولي .. الأسس والمفاهيم ، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٨م، ص ٩٤ .

(٣) برهان غليون : مستقبل الجاليات العربية في أوروبا، مجلة المستقبل العربي، العدد: ٢٠٩، مج ١٩، لبنان، يوليو ١٩٩٦م، ص ٦٣ .

- ضعف مؤشرات التنمية البشرية لدى فئة واسعة من المهاجرين العرب ، مما يعوق مخاطبتهم للغرب حول قضاياهم وقضايا أمتهم^(١) .

- الهجرة العربية غير الشرعية خاصةً إلى الدول الأوروبية ، والتي تجعل من هؤلاء المهاجرين أشخاصًا هارين وملاحقين من قبل السلطات ، ومن ثم تتسبب هذه الفئة في الإساءة إلى أبناء العالم العربي المقيمين في الخارج ، وتسهم في تشويه صورة العرب .

ب - دور الجاليات العربية في تعزيز الحوار بين الشرق والغرب:

إنّ الدور المنشود من الجاليات العربية في الغرب ، يُحتم عليهم عدم السلبية تجاه القضايا العربية ، وحسن التصرف ، والفهم الرشيد لمقتضيات العمل على المشاركة في الحوار الثقافي بين الشرق والغرب ، ونبذ الغلو والعنف ، واحترام التنوع الثقافي ، وإشاعة القيم الإنسانية المشتركة المؤسسة للحوار .

وهناك سياسات ومرتكزات تستطيع من خلالها الجاليات تحقيق العديد من الأهداف ، منها ما يلي :

- إن العرب في بلاد المهجر بحاجة إلى إقامة حوار بناء فيما بينهم ، وليس المهم الاتفاق على رأي واحد أو العمل في مؤسسة واحدة ، بل المهم

(١) انظر: د/ محمد جبرون : تجربة الحوار الثقافي مع الغرب ، ص ١٠٦ .

هو احترام آراء الآخرين، وإيجاد قواسم مشتركة للعمل من أجل تصحيح الصورة الذهنية عن الإنسان العربي ، ليس في الغرب فقط وإنما في العالم أجمع^(١)، وإذا استطعنا أن نؤسس لحوار ذاتي، عندها سنكون مؤهلين للتعاور مع الآخر .

- إنشاء جمعيات صداقة تقوم من خلالها الجاليات بالتبادل الفكري والثقافي والاجتماعي، وتوطيد أواصر الصداقة والأخوة بين الشعوب .

- الترويج لدور الجاليات ونشر أهدافها من خلال الندوات واللقاءات ، والمشاركة في المناسبات والاحتفالات القومية والمؤتمرات قاريًا ودوليًا وإقليميًا ، وتنظيم الاستقبالات الخاصة بالوفود الشعبية ، ومواكبة الأحداث العالمية^(٢) .

- الاستفادة من الدبلوماسية الاقتصادية غير الرسمية، ويعرف هذا النوع من الدبلوماسية بدبلوماسية المواطن ، والتي تهتم بعقد اللقاءات غير الرسمية بين الدول عن طريق رجال الاقتصاد والمستثمرين ، بغرض تقريب

(١) د/ عبد الله عبد الرحمن الخطيب وآخرون: الجاليات الإسلامية في أوروبا الغربية ..مشكلات التأقلم والاندماج، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٥٢-٥٣ .

(٢) أمل السر خالد : دور الجاليات في بناء الصورة الذهنية للدول .. دراسة تطبيقية على الجاليات السودانية بدولة الإمارات في الفترة ٢٠١٠ - ٢٠١١م، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠١٣م، ص ٦ .

وجهات النظر ودعمها ، بمساعدة مراكز البحث والدراسات المتخصصة في إحلال السلام والحوار بين الشعوب^(١).

- تنشيط دور البعثات العلمية في التأسيس لحوار بناءً بين الشرق والغرب، من خلال الباحثين أو الحاصلين على شهادة الدكتوراه في الجامعات الغربية من الطلاب العرب في مختلف التخصصات العلمية ، بما فيها العلوم الاجتماعية^(٢)، وما لهم من تأثير في تصحيح النظرة الغربية والشرقية على السواء ، من خلال معاشتهم لهذه المجتمعات الغربية ، وسلوكهم الطيب مع أساتذتهم والمسؤولين في هذه المؤسسات العلمية ، ومن حيث ابتعادهم عن أي أمر نخل بالدين والعادات والتقاليد ، لاسيما في المناسبات الاجتماعية، حيث إنهم - بطريقة أو أخرى - يمثلون أحد طرفي الحوار المباشرين^(٣).

ج- دور المؤسسات والهيئات الرسمية بالخارج :

لم تعد أدوار السفارات والقنصليات في الشرق أو الغرب محصورة في مهامها التقليدية المعروفة من تقديم الخدمات القنصلية ورعاية مصالح

(١) زياد صبحي محمد الغريز : دور الدبلوماسية الشعبية في تعزيز الموقف الدولي تجاه القضية الفلسطينية، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الإدارة والسياسة للدراسات العليا، جامعة الأقصى، فلسطين، ٢٠١٥م، ص ٢٣ .

(٢) عبد القادر لطرش : مجالات مساهمة الباحثين الاجتماعيين العرب في الخارج، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد: ١١، لبنان، ٢٠١٠م، ص ٦٤ .

(٣) علي إبراهيم النملة : الشرق والغرب .. منطلقات العلاقات ومحدداتها، ص ٢٢٢.

رعاياها فحسب ، بل أصبح لزامًا عليها القيام بالمشاركة في توجيه الجاليات في إطار ما يسمى بـ « الدبلوماسية الشعبية »^(١)، ودعمها ، من أجل القيام بدورها في تعزيز الحوار الثقافي بين الشرق والغرب ، وذلك من خلال :

- العمل على تأهيل المهاجرين، وتمكينهم من الناحية الثقافية والمهاراتية من وسائل الاندماج والتواصل مع الآخر^(٢).

- مساعدة الجاليات على المشاركة في الأنشطة والفعاليات الثقافية بالدولة المقيمين بها.

- إزالة العقبات التي تقف أمام تواصل المواطنين ثقافيًا مع الشعوب الأخرى.

- المساهمة في بث ونشر المعرفة بالثقافة والقيم الأخلاقية والاجتماعية المشتركة بين الشرق والغرب ، وكذا ما يميز كل منهما ويعبر عن هويته بما لا يتعارض مع الآخر.

ووعيًا منها بأهمية الدور الذي تقوم به الجاليات العربية فيما يخص الثقافة والفكر والانفتاح على الآخر؛ أقامت جامعة الدول العربية خلال الفترة من ٤ - ٦ ديسمبر ٢٠١٠م المؤتمر الأول للمغتربين العرب (جسر للتواصل)، والذي كان من توصياته ما يلي:

(١) منيرة بودردابن : دور الدبلوماسية غير الرسمية في تنفيذ السياسة الخارجية، رسالة ماجستير غير

منشورة، جامعة قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص ٦٨ .

(٢) د/ محمد جبرون : تجربة الحوار الثقافي مع الغرب، ص ١٠٧ بتصرف.

- ١- الدعوة إلى تكوين جمعيات ومنظمات عربية في بلدان الإقامة تضم المفكرين والمثقفين والإعلاميين والأدباء ، تكون إطارًا يجمعهم، ومنطلقًا لإعداد برامج عمل قابلة للتنفيذ على أرض الواقع.
- ٢- دعم المغتربين العرب في عملهم على المشاركة الفاعلة في الحياة العامة بمجتمعات الإقامة ، والانخراط في الجمعيات والمنظمات والنقابات المهنية ، والتعريف بتاريخ العرب وإرثهم الحضاري والثقافي.
- ٣- العمل على استخدام منابر الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة للمزيد من التعريف بالمووروث الثقافي العربي ، والقيم الإنسانية العربية .
- ٤- تكثيف اللقاءات ذات البعد الحضاري والثقافي، وإقامة أيام عربية في بلدان الاستقبال ، تتخللها معارض وندوات للتعريف بالحضارة العربية وثقافتها .
- ٥- دعوة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى إشراك المثقفين والمفكرين والأدباء العرب في المهجر في الفعاليات الثقافية التي تقيمها.
- ٦- إنشاء مراكز ثقافية عربية بالمهجر على غرار معهد العالم العربي بباريس .

٧- الدعوة لدعم الترجمة من وإلى اللغة العربية للتعريف بالقضايا والثقافة والحضارة العربية^(١).

كما اهتمت الأمم المتحدة أيضًا بتفعيل دور القنوات الشعبية للمشاركة في الحوار بين الشرق والغرب ، وجاء في تقرير التنمية الإنسانية العربية الصادر عن الأمم المتحدة ، أنه يمكن أن يقوم العرب المقيمون في الخارج بدور الجسر الرابط بين الثقافة العربية وشتى الحضارات الإنسانية^(٢) ، وذلك من خلال مستويين :

الأول: المستوى الفردي ، والذي يتجسد في السلوك الشخصي الملتزم بالأخلاقيات الإيجابية التي تحث على حسن المعاشرة والتعايش السلمي، بحيث يعطي الفرد العربي في المحيط الذي يعيش فيه القدوة والمثال للشخصية النافعة للمجتمع ، بتصرفاته ، وبأنماط سلوكه ، وبمعاملاته ، وبالأشطة التي يقوم بها .

والثاني: المستوى الجماعي ، والذي يتمثل في إقامة علاقة تعاون جماعي في إطار القوانين والأنظمة المحلية لخدمة أهداف سامية ، مثل تصحيح

(١) جامعة الدول العربية : إعلان المؤتمر الأول للمغتربين العرب (جسر للتواصل)، ٤ - ٦ ديسمبر ٢٠١٠م، ص ٤ - ٥ .

(٢) الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي : تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣م، الأمم المتحدة، المكتب الإقليمي للدول العربية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، نيويورك، ٢٠٠٣م، ص ١٧٦ .

صورة العرب والمسلمين ، وأن يتم ذلك دون إخلال بواجب الانضباط في السلوك ، وفي إطار احترام القوانين والأنظمة لكل دولة^(١) .

وفكرة أهمية عدم اقتصار الحوار الثقافي العربي بين الشرق والغرب على أصحاب المناصب السياسية والدبلوماسيين وأنه يجب أن يمتد ليشمل القوى الناعمة لدى الحضارتين الشرقية والغربية وهو ما أكده أيضًا وزير الخارجية البريطاني الأسبق روبن كوك يوم ٨ من أكتوبر ١٩٩٨م حين أشار في محاضرة له بالمركز الإسماعيلي بلندن إلى أنه لا ينبغي أن يقتصر الحوار «على الدبلوماسيين أو حتى وزراء الخارجية، بل يجب نجريه بين كل من أوروبا والعالم الإسلامي وشعوبهم، مثقفين وفنانين وغيرهم، ولن نخسر من التهاور بل سنخسر لو أننا لم نفعل ذلك»^(٢) .

ثانياً: السياحة:

السياحة: لفظ يطلق على من ينتقل في البلاد للتنزه، أو للاستطلاع والبحث والكشف، أو غير ذلك^(٣) .

أ- السياحة جسر للحوار :

تعد السياحة من الظواهر الإنسانية على مر العصور والتي ازدهرت في القرن العشرين ، وارتفعت أرقام الممارسين لها في العقود الأخيرة ، وتمثل

(١) أمل السر خالد : دور الجاليات في بناء الصورة الذهنية للدول، ص ٤ - ٥ .

(٢) نقلاً عن : د/ محمد عبد المنعم خفاجي: حوار الحضارات بين الشرق والغرب، ص ٣٨ .

(٣) أ.د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة، ١١٤٦/٢ .

السياحة في قلب الناس بين البلدان القريبة أو البعيدة بهدف الاستجمام والراحة ، والاكتشاف الثقافي ، والتمتع بألوان التراث الإنساني المختلفة ، وجمال الطبيعة وتنوعها ، وعظمة الحضارات ، والإنجازات العصرية^(١) .

وتعتبر السياحة وسيلة تبادل تعتمد عليها الدبلوماسية الشعبية التي اكتسبت أهمية كبرى بين مختلف دول العالم ، والتي تستخدم بوصفها جسراً للتفاهم والحوار بين الأمم ، ونافذة على العالم الخارجي^(٢) .

كما تلعب السياحة دوراً مهماً من حيث كونها تجمع بين مبادرات تستهدف الربح وبين الترويج للحوار بين الثقافات ، ويمكن للسياحة التي يُطلق عليها اسم السياحة الثقافية ، والتي تشمل أشكال السياحة الدينية والسياحة المرتبطة بمواقع التراث العالمي ، أن تساعد على الترويج للتفاهم الثقافي من خلال رؤية الآخرين في بيئتهم الطبيعية ، وإضفاء عمق تاريخي على الثقافات الأخرى ، كما يمكن لإشراك المجتمعات المحلية في هذه العملية أن يساعد على زرع الشعور المعزز لديها بقيمتها الذاتية ، وأن يساهم في التنمية المستدامة^(٣) .

(١) د/إمحمد جبرون : تجربة الحوار الثقافي مع الغرب ، ص ١٠٨-١٠٩ .

(٢) منيرة بودردابن : دور الدبلوماسية غير الرسمية في تنفيذ السياسة الخارجية ، ص ٦٥ .

(٣) تقرير اليونسكو العالمي : الاستئثار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات ، ص ٢١-٢٢ .

ولا شك أن السياحة توفر فرصة حقيقية للسائح لاختيار الصورة الذهنية التي يحملها السائح عن المجتمع الوافد إليه ، والنظر في مدى مطابقتها للواقع ، كما أنها تتيح الفرصة لتصحيح هذه الصورة ، فالسائح منذ لحظة وصوله وإلى أن يعود إلى بلده يعيش بين أبناء الشعب ، ويتنقل بين الأسواق والمطاعم والساحات العامة والمتنزهات الطبيعية والمآثر الثقافية والتاريخية، وتفرض عليه الحاجة أثناء هذا التنقل مخالطة الناس والحوار معهم وسؤالهم عن أشياء كثيرة ، وقد تقصر الحياة السياحية أو تطول بحسب الظرف ، لكن من المؤكد أن السائح ومن خلال هذه الحياة يشكل صورة واقعية ومتوازنة عن مدينة الشعوب وثقافتهم^(١) .

وقد برز دور السياحة الثقافية في إشاعة السلم العالمي منذ عام ١٩٦٧م ، عندما أعلنت منظمة الأمم المتحدة تلك السنة سنة عالمية للسياحة تحت شعار «السياحة جواز سفر نحو السلم» ، وهو الدور المحوري الذي أعاد المجتمع الدولي التأكيد عليه عند إعلان سنة ١٩٨٦م سنة دولية للسلام تحت شعار السياحة كقوة حية في خدمة السلم العالمي، ومنذ ذلك التاريخ برز قطاع السياحة الثقافية كفضاء مثالي لتكتل كل الثقافات والهويات الدولية والإنسانية ، وهو التكتل الذي إذا أُحسن تدبيره أضحى أهم ميدان تطبيقي لتعزيز الحوار الثقافي ، وإشاعة ثقافة العدل

(١) د/إمحمد جبرون : تجربة الحوار الثقافي مع الغرب، ص ١١٢-١١٣ .

والسلم ، خصوصًا إذا علمنا أن عدد السياح عبر العالم سيبلغ في أفق سنة ٢٠٢٠م وفقًا لأرقام المنظمة العالمية للسياحة ١.٦ مليار سائح ، ويجمع المتخصصون على أن الحركة السياحية والإشعاع الثقافي ببعديه الإبداعي والتراثي أصبحتا متلازمين ، حيث يشكلان أهم أداة لتفعيل الحوار بين الشعوب ، وإحلال التفاهم بين الأفراد^(١).

ب- التدابير المطلوبة لتفعيل دور السياحة في تعزيز الحوار بين

الشرق والغرب:

يتميز الموروث الثقافي لبلدان العالم العربي بالتنوع الهائل المتمثل في المعتقدات والتقاليد والعادات والمعارف والممارسات الاجتماعية ، وتراثه الأثري والمعماري والعمراني والحرفي والفني بوصفها شواهد على غنى وتنوع هذا الموروث ، وحيث إن هذه التجليات الثقافية تعد ميدانًا خصبًا للتفاعل مع الآخر ، ويبرز فيها دور المجتمع المدني لجعل هذا التفاعل تفاعلاً إيجابياً مبنياً على تقديم الوجه الحقيقي للحضارة العربية والإسلامية، وعلى تصحيح المغالطات والتشويهات المغرضة التي ما فتئت تلحق بها^(٢)، فإن

(١) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو : الأدوار الثقافية للمجتمع المدني من أجل تعزيز الحوار والسلم، ص ٣٦.

(٢) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو : الأدوار الثقافية للمجتمع المدني من أجل تعزيز الحوار والسلم ، ص ٣٧ .

إدماج البعد الثقافي والحضاري في الاستراتيجيات السياحية للبلدان العربية يُعدُّ أيضاً خطوة أساسية وضرورية حتى تكون السياحة خادمة لغايات وأغراض الحوار الثقافي مع الغرب ، وجسراً تاريخياً وعملياً لتعزيز التواصل والتفاهم معه .

ويتوقف الإدماج السليم والعقلاني لهذا البعد في سياسات السياحة على بعض الأولويات ، ومنها :

- تأهيل المرشدين السياحيين للتعامل مع قضايا الحوار الثقافي ومضامينه ، وكيف يمكنهم اصطحاب رسائله أثناء الإرشاد ، وإمدادهم بالدعامات اللازمة للقيام بهذا الدور من دورات تدريبية ومنتشورات وغيرها.

- تهيئة المزارات الثقافية والتاريخية التي تحمل مدلولات حضارية متعلقة بمساهمة العنصر العربي في الحضارة الإنسانية ، ويدخل في هذا الباب الاهتمام بالآثار التاريخية ، والمتاحف ، والمكتبات التاريخية ، ومظاهر التراث الثقافي^(١) .

- الاستفادة من سياحة المؤتمرات ، ويعرف هذا النوع بأنه تطور لصناعة السياحة عن طريق تنظيم مؤتمرات دولية مهمة ، وتتميز هذه السياحة عن غيرها بأن لها اعتبارات ثقافية واجتماعية واقتصادية

(١) د/إمحمد جبرون: تجربة الحوار الثقافي مع الغرب، ص ١١٣-١١٤ .

وسياسية عديدة ، وأنها تعكس مدى تحضر الشعوب المضيفة، ومدى إدراكها لأهمية العمل الجماعي المحلي والدولي^(١)، حيث يلتقي المشاركون فيها لتبادل الثقافات ، والبحث عن طرق لمعالجة الأزمة التواصلية ، بما اختاره القائمون على المؤتمر والمشاركون فيه من مناهج علمية لتعزيز ثقافة الحوار ، ومن مقاربات في طرح الإشكاليات والبحث لها عن أجوبة أو حلول علمية جادة^(٢).

- تحسين المحيط الاجتماعي الشرقي المستقبلي للسياحة ، ومعالجة الصورة النمطية التي تسكن الذاكرة الغربية ماضيها وحاضرها ، وذلك بتوعية المواطن بأهمية التفاعل الإيجابي مع السائحين^(٣).

- تشجيع النشاط السياحي ، لما ينتج عن ذلك من فتح آفاق بعيدة المدى في مجال التعرف المباشر على ثقافة الآخرين ، واكتشاف ما هو مشترك بين الثقافات ، وتواصل الأفراد مع بعضهم البعض ، مما يمد

(١) ماجد نجم فهمي : سياحة المؤتمرات .. الخصائص والإمكانات ، الملتقى العربي الثاني: الاتجاهات الحديثة في السياحة - نحو سياحة عربية غير نمطية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، شرم الشيخ - مصر، ٢٠٠٧م، ص ١٣٦ .

(٢) رمزي رمضاني : إدماج قيم الحوار والتفاهم في الكتب المدرسية الموجهة إلى الجالية العربية المسلمة في الغرب .. مدخل إشكالي، مجلة العربية للناطقين بغيرها، معهد اللغة العربية بجامعة أفريقيا العالمية، العدد: ٣، السودان، يونيو ٢٠٠٩م، ص ٥٨ .

(٣) د/ محمد جبرون : تجربة الحوار الثقافي مع الغرب، ص ١١٤ .

جسرًا للحوار والتعارف ليصل إلى قبول الآخر المختلف في ثقافته
وطباعه ودينه^(١).

إن للسياحة دورًا حقيقيًا في النهوض بالحوار الثقافي العربي بين الشرق
والغرب ، تمنح العالمين الشرقي والغربي فرصة حقيقية لتغيير الصور النمطية
السلبية عند كلا الطرفين ، ولابد من الاهتمام بها بما يناسب حجم تأثيرها في
مجال الحوار ، حيث يمثل السياح كافة شرائح المجتمع الشرقي والغربي على
السواء ، فمنهم المهندس والطبيب والمعلم والتقني والعامل والطالب
والسياسي ... إلخ ، ومن ثم فإن من شأن التواصل الإيجابي معهم وحسن
معاملتهم أن يجعلهم سفراء ثقافتهم ، والذاكرين لها بخير وحيادية في
مجالات الحياة المختلفة بعد عودتهم إلى بلادهم^(٢).

* * *



(١) سناء كاظم كاطع : آليات تعزيز الحوار بين الثقافات، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، مج ٩،

العدد: ٢٨، العراق، أكتوبر ٢٠١٤م، ص ٧٠-٧١ .

(٢) د/إمحمد جبرون : تجربة الحوار الثقافي مع الغرب، ص ١١٤-١١٥ .

المراجع

- (١) ابن هشام: السيرة النبوية ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، شركة الطباعة الفنية المتحدة.
- (٢) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، المحقق: إبراهيم الإياري ، دار الكتاب اللبنانيين ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- (٣) أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٤) أحمد رضا: معجم متن اللغة، مكتبة الحياة ، بيروت.
- (٥) أحمد عارف الكفارنة ، الأستاذ الدكتور: معوقات الحوار بين الشرق والغرب ، دفا تر السياسة والقانون ، العدد الثالث عشر ، جوان، الجزائر، ٢٠١٥م.
- (٦) أحمد عبد الحلیم عطية: وعي المشترك الديني (الأخلاقي والإنساني والقيمي)، كتاب المؤتمر الدولي الأول الذي عقدته كلية الأديان والعلوم الإنسانية بجامعة المعارف بالتعاون مع الجمعية اللبنانية لتقدم

العلوم ، بعنوان: ثقافة الحوار بين الأديان ، المنعقد ببيروت في سبتمبر
٢٠١٧م.

(٧) أحمد عبد الرحمن الصويان: الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية،
الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٨) أحمد مجدي حجازي، الأستاذ الدكتور: المثقفون العرب وأزمة
الحوار، رؤية في عنف الحوار والهدر الثقافي، ضمن فعاليات ندوة:
التنوير والتسامح وتجديد الفكر العربي، المجمع التونسي للعلوم
والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، قرطاج، فبراير ٢٠٠٥م.

(٩) أحمد مختار عبد الحميد عمر، الأستاذ الدكتور: معجم اللغة العربية
المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(١٠) إ محمد جبرون، الأستاذ الدكتور: تجربة الحوار الثقافي مع الغرب قراءة
تقويمية ونموذج مقترح، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت -
لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

(١١) أمل السر خالد: دور الجاليات في بناء الصورة الذهنية للدول..
دراسة تطبيقية على الجاليات السودانية بدولة الإمارات في الفترة
٢٠١٠ - ٢٠١١م، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة
أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠١٣م.

- (١٢) آمنة نصير ، الأستاذة الدكتورة : حوار الحضارات من أجل الإنسان.. تواصل لا تصادم، سلسلة قضايا إسلامية، العدد: ١١٩، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- (١٣) انتصار إبراهيم عبد الرزاق، صفا حسام السموك: الإعلام الجديد، تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع، الكتاب الأول، ٢٠١١م.
- (١٤) أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، بيروت، باريس، ٢٠٠١م.
- (١٥) إيمان الصّالح، الأستاذة الدكتورة: جدلية العلاقة بين الشرق والغرب وهاجس الخوف المتبادل، مجلة كلية الأدب، حلب، ٢٠٠٨م.
- (١٦) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- (١٧) برهان غليون: مستقبل الجاليات العربية في أوروبا، مجلة المستقبل العربي، العدد: ٢٠٩، مجلد ١٩، لبنان، يوليو ١٩٩٦م.

- (١٨) بيتر شوجر: أوروبا العثمانية ١٣٥٤ - ١٨٠٤، ترجمة: عاصم الدسوقي، دار الثقافة الجديدة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- (١٩) تقرير اليونسكو العالمي: الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، ٢٠٠٩م.
- (٢٠) تقرير وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي: قمة رواد التواصل الاجتماعي العرب، التقرير الأول ٢٠١٥م.
- (٢١) جابر عصفور، الأستاذ الدكتور: مواجهة الإرهاب، قراءات في الأدب العربي المعاصر، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- (٢٢) جاكلين كوستا-لاسكو، وجانين دارتوا : دراسة مقارنة للكتب المدرسية في إطار الحوار الأوروبي-العربي ، مراجعة: أمينة الهمشري، بمساعدة: ماييتي باتينا، وكانديس التماير، اليونسكو، ٢٠١٣م.
- (٢٣) جامعة الدول العربية: إعلان المؤتمر الأول للمغترين العرب (جسر للتواصل)، ٤ - ٦ ديسمبر ٢٠١٠م.
- _____ : جلسة وسائل التواصل الاجتماعي وإثراء المحتوى القومي للتنمية الاقتصادية العربية الشاملة ، محور: تأثير وسائل التواصل الإلكتروني في التطور الاجتماعي الاقتصادي.

(٢٤) جعفر شيخ إدريس: الحوار مجادلة جادة لا مدهانة ، مقال في مجلة البيان تصدر عن المنتدى الإسلامي ، السنة الثامنة عشرة ، العدد: ١٩٠ ، جمادى الآخرة، ١٤٢٤هـ، أغسطس ٢٠٠٣م.

(٢٥) جعفر عبد السلام ، الأستاذ الدكتور ، و أ.د/ أحمد السايح: المسلمون والآخر أسس الحوار مع الآخر ، سلسلة فكر المواجهة.

(٢٦) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٢٧) جميلة عبد القادر الرفاعي: فقه الأقليات والجاليات الإسلامية المتعلق بعبادة الصلاة ، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون ، مجلد ٣٢، العدد: ١، ٢٠٠٥م.

(٢٨) جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعير، مؤسسة هنداوي.

(٢٩) رءوف عباس حامد: كتابة تاريخ مصر إلى أين.. أزمة المنهج ورؤى نقدية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(٣٠) رمزي رمضاني: إدماج قيم الحوار والتفاهم في الكتب المدرسية الموجهة إلى الجالية العربية المسلمة في الغرب.. مدخل إشكالي، مجلة العربية للناطقين بغيرها، معهد اللغة العربية بجامعة أفريقيا العالمية، العدد: ٣، السودان، يونيو ٢٠٠٩م.

(٣١) زكي نجيب محمود ، الأستاذ الدكتور: تجديد الفكر العربي ، الشروق،
الطبعة العاشرة ، ٢٠١١م.

(٣٢) زياد صبحي محمد الغريز: دور الدبلوماسية الشعبية في تعزيز الموقف
الدولي تجاه القضية الفلسطينية ، رسالة ماجستير غير منشورة ،
أكاديمية الإدارة والسياسة للدراسات العليا، جامعة الأقصى،
فلسطين، ٢٠١٥م.

(٣٣) زين الدين محمد ، المشهور بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن
زين العابدين الحدادي المناوي: التوقيف على مهات التعاريف ، عالم
الكتب، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٣٤) زينب رمضان شافعي أبو طالب: منهجيات قياس الرأي العام،
بحث بور بوينت، الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، القاهرة.

(٣٥) سعد بن علي بن محمد الشهراني ، الأستاذ الدكتور: أهداف الحوار مع
الغرب ومحاذيره ، المؤتمر العام الإسلامي، بعنوان: العالم الإسلامي
والغرب.. الحواجز والجسور، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا،
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٣٦) سلام الكواكبي: الجاليات العربية في أوروبا ومدى اندماجها في
المشهد المدني والسياسي، مجلة شؤون عربية، العدد: ١٤١، جامعة
الدول العربية، ٢٠١٠م.

(٣٧) سليم دكّاش ، الأستاذ الدكتور: دور المؤسسات التعليمية، كتاب
المؤتمر الدولي الأول الذي عقده كلية الأديان والعلوم الإنسانية
بجامعة المعارف ، بالتعاون مع الجمعية اللبنانية لتقدم العلوم ،
بعنوان: ثقافة الحوار بين الأديان، المنعقد ببيروت، سبتمبر ٢٠١٧م.

(٣٨) سناء كاظم كاطع: آليات تعزيز الحوار بين الثقافات، مجلة الكلية
الإسلامية الجامعة، المجلد ٩، العدد: ٢٨، العراق، أكتوبر ٢٠١٤م.

(٣٩) سناء محمد الجبور: الإعلام الاجتماعي، دار أسامة للنشر والتوزيع
عمان- الأردن، ٢٠١٤م.

(٤٠) شحادة مهدي: أزمة الحوار الثقافي العربي الغربي في ظل العولمة، شؤون
الأوسط، العدد: ١٤٨، لبنان، ٢٠١٤م.

(٤١) صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، دار الهلال، الطبعة
الأولى، بيروت.

(٤٢) طارق بن علي الحبيب، الأستاذ الدكتور: كيف تحاور، توزيع مؤسسة
الجريسي للتوزيع والإعلان، ١٤٢٦هـ.

(٤٣) الطاهر بن عاشور التونسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٤٤) عادل ياسر، الأستاذ الدكتور، ود/ فتن محمد رزاق: معوقات الحوار الثقافي والحضاري وآلياتها، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة- العراق، المجلد ٩، العدد: ٢٨، تشرين أول ٢٠١٤م.

(٤٥) عامر جميل الصرايرة: جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة من عام ٢٠٠١م - ٢٠١١م ، رسالة علمية تحت إشراف الدكتور/ محمد الشوابكة ، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة، عام ٢٠١٣م.

(٤٦) عباس محمد حسن سليمان: جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي ونشره ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٤٧) عبد الرب نواب الدين آل نواب ، الأستاذ الدكتور: وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار ، بحث منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.

(٤٨) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: تيسير الكريم الرحمن في

تفسير كلام المنان، المعروف بتفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن

معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٤٩) عبد الستار إبراهيم الهيتي: الحوار.. الذات والآخر، سلسلة كتاب

الأمة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، السنة الرابعة والعشرون،

العدد: ٩٩، المحرم ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٥٠) عبد العزيز التويجري، الأستاذ الدكتور: الحوار الحضاري الثقافي

أهدافه ومجالاته، مقال بمجلة رابطة العالم الإسلامي، العدد: ٤٣٧،

٢٠١٠م.

_____ : حوار الثقافات والحضارات

لمواجهة العنصرية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم

والثقافة- إيسيسكو، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

_____ : الكرامة الإنسانية في ضوء

المبادئ الإسلامية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم

والثقافة- إيسيسكو، الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

_____ : الحوار من أجل التعايش، دار

الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٥١) عبد القادر فضيل: الإضافات الثقافية والحضارية للهجرة، ندوة تعليم العربية لأبناء الجاليات العربية في أوروبا الواقع والآفاق، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ووزارة الشؤون الاجتماعية، ووزارة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي، تونس، ديسمبر ١٩٩٠م.

(٥٢) عبد القادر لطرش: مجالات مساهمة الباحثين الاجتماعيين العرب في الخارج، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد: ١١، لبنان، ٢٠١٠م.

(٥٣) عبد الله عبد الرحمن الخطيب ، الدكتور، وآخرون: الجاليات الإسلامية في أوروبا الغربية.. مشكلات التأقلم والاندماج، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٥٤) عبد الله علي العليان: حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين.. رؤية إسلامية للحوار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

(٥٥) علي إبراهيم النملة: الشرق والغرب.. منطلقات العلاقات ومحدداتها، الطبعة الثالثة، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠م.

_____ : مجالات التأثير والتأثير بين الثقافات الماثقة بين

شرق وغرب، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- (٥٦) علي المرهج، الأستاذ الدكتور: العلاقة بين الشرق والغرب.. حوار أم صراع، مقال بصحيفة المثقف، العدد: ٤١٥٩، ١/٢٠١٨م.
- (٥٧) علي ليلة: تفاعل الحضارات بين إمكانية الالتقاء واحتمالات الصراع، القاهرة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- (٥٨) فتحي التريكي، الأستاذ الدكتور: جماليات العيش المشترك، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٦م.
- (٥٩) فتحي حسن ملكاوي، الأستاذ الدكتور: بحوث المؤتمر التربوي، مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، الجزء الأول، عمان، جامعة اليرموك، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- (٦٠) فؤاد زكريا: الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٩م.
- (٦١) ماجد نجم فهمي: سياحة المؤتمرات.. الخصائص والإمكانات، الملتقى العربي الثاني: الاتجاهات الحديثة في السياحة - نحو سياحة عربية غير نمطية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، شرم الشيخ - مصر، ٢٠٠٧م.

(٦٢) مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الطبعة الرابعة، دمشق - سوريا، ١٩٨٤م.

(٦٣) مبروك المناعي: الأنا والآخر ومقتضيات العبارة.. الشرق والغرب في مؤلفات الشابي، مجلة الأدب، العدد: ١٢، ١٩٩٣م.

(٦٤) مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
_____ : المعجم الوسيط، القاهرة.

(٦٥) محمد ابن منظور: لسان العرب: دار صادر، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٦٦) محمد أحمد حسن القضاة، الأستاذ الدكتور: أسس الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي، مقال منشور على شبكة الإنترنت، موقع الحوار اليوم.

(٦٧) محمد السماك: ثقافة الحوار في الإسلام.. حرية الاختيار وحق الاختلاف، مقال بجريدة النهار، لبنان، بتاريخ ١٧ من تشرين الثاني، نوفمبر ٢٠٠٢م، منشور على شبكة الإنترنت.

(٦٨) محمد السويدي: مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الأولى، الجزائر، ١٩٩١م.

(٦٩) محمد بن إسماعيل البخاري، الإمام: صحيح البخاري، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٧٠) محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(٧١) محمد عبد العظيم الزُّرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، القاهرة.

(٧٢) محمد عبد المنعم خفاجي، الأستاذ الدكتور: حوار الحضارات بين الشرق والغرب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة قضايا إسلامية، العدد: ٢٠٦، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

(٧٣) محمد فهد القيسي، الأستاذ الدكتور، والباحث/ عبد الرحيم جليل الكناني: دراسات في فلسفة التاريخ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠١٤م.

(٧٤) محمد قيراط: الإعلام العربي الموجه للآخر والحوار بين الإسلام والغرب، ورقة مقدمة إلى ندوة: الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ١٦-١٨ من أبريل ٢٠٠٧م.

(٧٥) محمد مختار جمعة ، الأستاذ الدكتور: أسس الحوار الحضاري،

منشور بصحيفة الأهرام في ٩ / ٥ / ٢٠١٤ .

(٧٦) محمود حمدي زقزوق ، الأستاذ الدكتور: الإسلام وقضايا الحوار،

ترجمة: أ.د/ مصطفى ماهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة

الأوقاف ، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

الحوار الإسلامي المسيحي، _____ :

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٧٧) محيي الدين عبد الحلیم، الأستاذ الدكتور: الأقليات الإسلامية في

الدول غير الإسلامية، بحث ضمن أبحاث المؤتمر الرابع عشر

بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بعنوان: حقيقة الإسلام في عالم

متغير، مصر، مارس ٢٠٠٣م.

(٧٨) مختار مفتاح السنوسي: الإعلام الدولي .. الأسس والمفاهيم، دار

زهرا للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٨م.

(٧٩) مسلم بن الحجاج، الإمام: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد

الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٨٠) مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر

الرافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية.

(٨١) مصطفى فاضل كريم خفاجي، الأستاذ الدكتور، والباحث/ عقيل

محمد صالح: مفهوم الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإنساني، مجلة

مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد: ٧، العدد: ٤، ٢٠١٧م.

(٨٢) المكتب الإقليمي للدول العربية: تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام

٢٠٠٣م، الأمم المتحدة - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، نيويورك،

٢٠٠٣م.

(٨٣) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو: الأدوار

الثقافية للمجتمع المدني من أجل تعزيز الحوار والسلام، المملكة

المغربية، ٢٠١٣م.

(٨٤) منى أبو الفضل، الأستاذة الدكتورة، أ.د/ أميمة عبود، أ.د/ سليمان

الخطيب، الحوار مع الغرب.. آلياته أهدافه دوافعه، سلسلة التأصيل

النظري للدراسات الحضارية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م.

(٨٥) منيرة بودردابن: دور الدبلوماسية غير الرسمية في تنفيذ السياسة

الخارجية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة، الجزائر،

٢٠٠٩م.

(٨٦) كامل الدلفي: نحن وتطور الحضارات في حسابات المفهوم، مجلة

إلكترونية، العدد: ١٨٣٤، موقع الحوار المتمدن، ٢٣/٣/٢٠٠٧م.

(٨٧) كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية ونادي دبي للصحافة: نظرة

الإعلام الاجتماعي في العالم العربي، ٢٠١٤م.

(٨٨) نصر محمد عارف: الحضارة الثقافية المدنية دراسة لسيرة المصطلح

ودلالة المفهوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، الطبعة الثانية.

(٨٩) نفيسة نايلي: دور وسائل الإعلام في صناعة الصورة الذهنية.. صورة

المرأة في السينما العربية نموذجًا، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي.

(٩٠) هالة كاسو: الإعلام الاستقصائي... الصحافة التقليدية تجمع

الأفكار والاستقصائية تنظمها، موقع الوحدة، عن مؤسسة الوحدة

للطباعة والنشر، العدد ٨٦٧٤، الإثنين ٦ من حزيران ٢٠١٦م.

(٩١) هدى بنت ناصر محمد السلاي: موقف المستشرقين من علم الكلام

والأشاعرة، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية،

٢٠١٢م.

(٩٢) هندة العرفاوي: المثقفون العرب وأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، مجمع

الأطرش للكتاب المختص، تونس، جوان ٢٠١٦م.

(٩٣) هنية مفتاح أحمد القمطاي، الأستاذة الدكتورة: أزمة الحوار الحضاري في عصر العولمة، دورية الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، ٣٠ من مارس ٢٠١٨م.

(٩٤) هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية: خطوة التسرع في التكفير والقيام بالتفجير وما ينشأ عنهما من سفك للدماء وتخريب للمنشآت، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

(٩٥) وزارة الثقافة الجزائرية: المؤتمر الإسلامي السابع لوزراء الثقافة، الجزائر، ديسمبر ٢٠١١م.

(٩٦) ويليام جيمس ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: د/ زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجليل، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٩٧) <https://search.mandumah.com/record624059>

(٩٨) <https://Islamstory.com>

(٩٩) <http://Wikioppdia.oeg>

* * *



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	م
٥	مقدمة .	١
١٠	تحرير المصطلحات .	٢
٢٣	أهمية الحوار .	٣
٢٤	أسس الحوار .	٤
٢٧	آداب الحوار .	٥
٣٤	الحوار الثقافي بين الشرق والغرب .. رؤية تاريخية .	٦
٣٨	الحلقات التاريخية للحوار بين الشرق والغرب .	٧
٥٥	أهداف الحوار الثقافي بين الشرق والغرب .	٨
٥٩	تصحيح المفاهيم المغلوطة عند طرفي الحوار .	٩
٦٢	إعلاء قيمة التنوع الثقافي .	١٠
٧٣	تنمية العلاقات القائمة على التعاون بين الحضارات .	١١
٧٧	التعايش بديلاً للصراع .	١٢
٨٩	حفظ الكرامة الإنسانية .	١٣
٩١	معوقات الحوار الثقافي بين الشرق والغرب	١٤
٩١	أولاً : كيف يرى الغرب الشرق ؟.	١٥

٩٦	١٦	ثانيا : كيف يرى الشرق الغرب؟
٩٩	١٧	ثالثا : الاستشراق .
١٠٣	١٨	رابعا : نزعة التطرف والتعصب .
١٠٩	١٩	آليات تعزيز الحوار الثقافي بين الشرق والغرب .
١٠٩	٢٠	١- المؤسسات الدينية .
١١٧	٢١	٢- الوسائل الإعلامية .
١٢٨	٢٢	٣- المؤسسات الثقافية .
١٣٥	٢٣	٤- المؤسسات التعليمية .
١٤٤	٢٤	٥- قنوات التواصل الشعبي .
١٦١	٢٥	المراجع .
١٧٨	٢٦	فهرس الموضوعات .

* * *

□



رقم الإيداع :